صوت الراوي

بهذا العدد تدخل **الراوي** عامها الثالث وهي أكثر ثقة من قبل. تستند في ثقتها على مصدر أساس، يتمثل في قراء **الراوي** عبر مساحة الوطن العربي وخارجه. يأتي في مقدمة هؤلاء، المبدعون الذين يصنعون بحق هذه المختارات التي تتآلف وتتكاتف لتتحول بالتالي إلى وعي كبير يترجم واقع المنطقة عبر زوايا مختلفة تتفق مع هموم الكاتب وميوله، وقد تتعدى الواقع لترسم أملاً في واقع أفضل. وهي نصوص تتفاوت مستوياتها من الناحية الموضوعية والفنية. لكننا نجزم أنها تقترب من تمثيل الواقع القصصي في منطقة الجزيرة العربية.

وإذا كان تواصل المبدعين كبيراً مع **الراوي** فإنها تشعر أنها بحاجة إلى المزيد خصوصاً مع الأشقاء في جنوب الجزيرة وشرقها. وقد تكررت اتصالات **الراوي** مع عدد من المراكز الثقافية في هذه المناطق أملاً في تواصل أكبر مع الإبداع القصصي. ورغم حرص **الراوي** على توازن

التمثيل الإبداعي مع التمثيل الجغرافي، إلا أنها لا تستطيع تحقيق أمنيتها حين لا يكون التجاوب بالشكل المأمول، خصوصا أن الراوي أخذت على نفسها أن تنشر النصوص الحديثة فقط، وتحديداً تلك التي لم تنشر في مجموعات قصصية. وهذا يعني أن تعتمد **الراوي** على التواصل المباشر مع المبدعين أنفسهم للحصول على جديدهم وجديدهن. ويحدوها أمل كبير في مزيد من تعميق الصلة بين **الراوي** والمبدعين والقراء.

يزدان غلاف **الراوي** بشعار الرياض عاصمة الثقافة العربية لهذا العام 2000، من منطلق أن الراوي تحتفل بالرياض، وتحتفي بالثقافة، وترى أن احتفال الجزيرة العربية بعاصمتين ثقافيتين للعرب خلال زمن قصير، يعطي قيمة للمكان، ومسؤولية أكبر تجاه رعاية أشمل وأقوى، وأكثر تأثيراً على مساحة الوطن العربي الكبير وخارجه.

نوجه أنظارنا إلى الرياض عاصمة للثقافة العربية، ونحن على ثقة أن الإبداع القصصي سيكون ضمن أولويات الإبداع المحتفى به في الرياض.

دعواتنا للجميع بمزيد من التوفيق؛ لتحقيق مزيد من الآمال الطموحة.

جماعة الراوي

راوي العدد :

سليمان الشطي*

سيرة القاص

ولد في الكويت عام 1943هـ، في أسرة من الطبقة الوسطى، يمتهن أفرادها العمل في البحر والتجارة، فجده ووالده كانا نواخذة سفر، وبقية أسرته موزعين بين مهن البحر المختلفة. عاصر شطراً من الحياة القديمة فشهد التغيرات والتطورات السياسية والاجتماعية والثقافية في الكويت، وشارك فيها مشاركة واضحة طوال السنوات الثلاثين الماضية، وقد انعكس هذا على إنتاجه القصصي، الذي صور فيه ملامح العقود الثلاثة الماضية.

تلقى تعليمه في مدارس الكويت الحكومية، فدرس في المدرة الأحمدية ثم المباركية – حصل على دبلوم المعلمين سنة 1966. التحق بجامعة الكويت عند إنشائها وتخرج في قسم اللغة العربية سنة 1970 ثم عين معيداً حيث حصل على درجة الماجستير عام 1974 ثم أكمل دراسته في جامعة القاهرة وحصل على درجة

الدكتوراه من جامعة القاهرة عام 1978. وتدرج في الدرجات العلمية: مدرس، أستاذ مساعد، أستاذ.

بدأ الكتابة القصصية في مطلع الستينات، فنشر أول قصة قصيرة له "الدفة" في أواخر سنة 1962 وتوالى نشاطه في كتابة القصة والمقالة بعد ذلك. أصدر مجموعته الأولى "الصوت الخافت" سنة 1970.

انضم إلى رابطة الأدباء في الكويت في سنة إشهارها الأولى سنة 1965، وظل عضواً فاعلاً فيها، اشترك في مجلس إدارتها لمدة سنوات وأصبح أميناً عاماً لها (1984 – 1986) وقد اشترك في الإشراف على مجلة البيان فكان سكرتيراً للتحرير في سنة إنشائها، ثم تولى رئاسة تحريرها من عام 1978 إلى 1990.

واكب كذلك الحركة المسرحية في الكويت في نهضتها في الستينات والسبعينات، فكان عضواً نشطاً في مسرح الخليج العربي، الذي ضم نخبة من فناني الكويت في مقدمتهم المرحوم صقر الرشود وعبدالعزيز السريع ومنصور المنصور وغيرهم.

يشارك في عضوية عدد من اللجان الثقافية والعلمية.

له من الأعمال الإبداعية:

١ – الصوت الخافت (مجموعة قصصية) 1970.

٢ – رجال من الرف العالي (مجموعة قصصية) 1982.

٣ – أنا.. الآخر (مجموعة قصصية) 1994.

* من الكتب الأخرى:

١ – الرمز والرمزية في أدب نجيب محفوظ – 1976.

٢ – رسالة إلى من يهمه أمر هذه الأمة (عن تجربة الإحتلال العراقي) – 1991.

٣ – مدخل: القصة القصيرة في الكويت – 1993.

٤ – طريق الحرافيش: رؤية في التفسير الحضاري – 1996.

٥ – ثلاث قراءات في نقدنا القديم – تحت الطبع.

إضافة إلى عدد من الدراسات الأكاديمية والمقالات المنشورة في المجلات والصحف.

* تقدر الراوي للدكتور سليمان الشطي كريم تجاوبه.

شهادات

1

إن كان انبعاث القصة للمرة الأولى في الكويت – وبشكل مقبول فنياً – قد تم على يد فهد الدويري، فلابد من الإشارة إلى أن ظهور فن القصة ثانية – مع حصيلة أكثر نضجاً – على يد سليمان الشطي.

ومما يدلل على هذا جملة من الجوانب الإيجابية نستطيع تلمسها من خلال كتاباته، منها:

- 1 -

ضمن مرحلة "الريادة" كانت القصص "على وجه العموم" تنتهج واقعية ميكانيكية.. فجة، تشفع لها – إلى حد ما – مضامينها الاجتماعية، لكنها – عبر كتابات سليمان الشطي – بدأت طريقها الطبيعي في الإتجاه، أو التبشير بالواقعية النقدية، والتي ستتحدد فيما يستقبل من كتابات لدى كتاب آخرين، وبصورة أكثر وضوحاً.

- 2 -

المعاصرة في الكلمات والتراكيب اللفظية "اللغة عموماً" إلى جانب معاصرة موازية ومساوية في أسلوب التناول والعرض، مما منح القصة بعداً أكثر تأثيراً من الناحية الفنية والاجتماعية، إن لم يكن أكثر انتشاراً وجماهيرية.

- 3 -

القدرة المعقولة في تقديم الشخوص على مسرح القصة مما يمنحهم زخم الحركة الحية، إضافة إلى اكتسابهم مقدرة الإقناع.

- 4 -

اللجوء – وبشكل فني مقبول – إلى استعمال التداعي والمنولوج الداخلي ضمن كيان القصة، مما ساعد – في النهاية – على إثراء وتطوير وحسن توصيل المضامين الفنية والاجتماعية للقصة.

- 5 -

الاختيار الذكي في عرض حالات معاصرة يعايشها الفرد الكويتي، وتتكشف – بدورها عن علاقات اجتماعية... اقتصادية... سلوكية... متخلفة، فنجح في أن يمنح القصة القدرة على أداء وظيفتها الاجتماعية الهادفة.

- 6 -

العفوية غير المفتعلة، والصدق الفني، وما حققاه من نجاح في أن يخلفا طعماً من المرارة لدى القارىء، إضافة إلى مشاركته الوجدانية، في أكثر من مكان في القصة.

إسماعيل فهد اسماعيل

2

سليمان الشطي لا يحفل كثيراً بصياغة الشخصية "النموذج" ولا يرصد حركة الصراع الاجتماعي من خلال الإيمان بطبقة اجتماعية، وإنما يحتفل أساساً بما تبثه الشخصية من دلالات وتناقضات إنسانية، إنه يتوغل إلى خصائصها الصغيرة متعاضداً مع رهافة حسها الإنساني من غير أن يتجاوز وجودها الخاص، أو من غير أن يتخذ من التحليل وسيلة أساسية للنقد، وهذا ما أتاح له إمكانية واسعة في تطوير مقدرته التحليلية على حساب رؤيته وموقفه الاجتماعي.

ويحتفظ الشطي بهذه القدرة في جميع قصصه لتعبر عن مدى استيعابه للتقاليد التعبيرية في فن القصة القصيرة، كما يحتفظ من جانب آخر بقدرته على استبطان المعنى الإنساني من خلال متابعاته للتفاصيل الداخلية والخارجية مهما قل شأنها.

ويمكن القول إن سليمان الشطي كما بحث عن ردود الفعل الاجتماعي، بحث عن المعنى الخاص في الشخصية الإنسانية وخاصة في القصص التي يسيطر

عليها أسلوب تيار الوعي، وقد حقق له ذلك تنوعاً وثراء فيما عالجه من موضوعات وشخصيات تتميز غالباً بخصوصيتها.

ولعل أهم ما انتقلت إليه القصة القصيرة عند سليمان الشطي هو أنها بدأت تستفيد من "التعبيرية" ونحوها من المفاهيم الحديثة في الأدب والفن وقد جاء ذلك معبراً عن تطور المقدرة التحليلية وازدياد المعرفة بقضايا الشكل القصصي بعد ثبات التوجه نحو الواقعية.

د. إبراهيم عبدالله غلوم

3

يمكن توصيف قصص سليمان الشطي – وهو من رواد القصة القصيرة الكويتية في الستينيات – بقصص "الشخصية" انطلاقاً من أن كل عناصر السرد تعمل على إضاءة الشخصية، وإبراز جوانبها، وتكوين معرفة بها. ومنذ قصته "الدفّة" (أول قصة كتبها الشطي ونشرها عام 1962) تبدو لنا الطبيعة المأزومة المغمورة لأغلب الشخصيات التي يحكي قصصها. فـ "أبو أحمد" في "الدفة" بحار بسيط في سفينة مهددة بالغرق، يبادر إلى إمساك "الدفة" ويسيطر على اتجاه السفينة طوال عشرين ساعة وينقذها من الغرق، في الوقت الذي نسيه الجميع في حمى الفوضى، وحين يتذكرونه يجدونه ميتاً. ويده لماتزال مطبقة بإحكام على الدفة. فذروة القصة هنا هي نهايتها على وجه التحديد، وكأن الشطي يستذكر درس إيخنباوم عن أن جوهر القصة هو في نهايتها، وكأن أفراد الجماعات المغمورة والمقهورة لا يعرفون الذروة بل مساراً يتحرك من البداية نحو الكارثة وفق تأويل سوسيولوجي ممكن لصبري حافظ.

ويمكن القول بشكل عام إن شخصيات الشطي مكافحة، محرومة، مقهورة، مقتلعة من مسقط رأسها ومرمية في بيئة حضرية جديدة وغريبة عنها، مرمية في الزحام ومداسة، مأزومة عاطفياً وروحياً، تجد نفسها أحياناً وقد انحطت من "العلياء" إلى حضيض الانفصام الحاد أو التلاشي الاجتماعي. وإذا كانت التيبولوجيا المضمونية تضع هذه الشخصيات بين أفراد الجماعات المغمورة والمقهورة، فإنه يمكن القول إن الشطي يحرص أحياناً على تقديم هذه الشخصيات وسط معترك المواجهة مع نقائضها، أو أنه يقابل ما بينها وفق ثنائية البطل والبطل المضاد، بهدف توليد أثر بديالكتيكية علاقات الشخصية، حيث الشخصية المغمورة البسيطة (البحار) تواجه نقيضها أو الشخصية المضادة (النوخذة) في "حكاية للآخرين" وحيث المقابلة بين المستأجرة والمؤجر، وبين العاطل عن العمل والحجي رب العمل في "الصوت الخافت" وبين الغني والفقير في "وجهان في عتمة" غير أنه ورغم ضرورة التيبولوجيا المضمونية لإنشاء نظرية القصة القصيرة، فإنه لا يمكن اختزال الشخصية القصصية إليها، ذلك أنه لا وجود لهذه الشخصية خارج الكلمات مع أنها تتصف في نمط قص الشطي بالإحتمالية وتوفر مقروئية بذلك. من هنا لابد من تصنيف الشخصية القصصية في

إطار تيبولوجيا أخرى منسجمة مع طبيعتها اللفظية أو اللسانية هي التيبولوجيا الشكلية المتجانسة مع طبيعة الشخصية القصصية. ويمكن في ضوء ذلك تصنيف شخصيات الشطي وفق مستوى الشخصية التي تخضع الحبكة لها، والشخصية السكونية المسطحة والشخصية الدينامية متعددة الأبعاد فالشخصية الخاضعة للحبكة تتصف بوظيفتها الخيطية الرابطة لنسيج الأحداث أو بثانويتها كما يفضل البعض أن يعبر، في حين أن الشخصية التي تخضع لها الحبكة هي الشخصية التي تتوجه منظومة الوحدات السردية لإبراز خصائصها وجوانبها.

محمد جمال باروت

4

إن مجموعة كبيرة من قصص سليمان الشطي تتطلب من قارئها مهارة شطرنجية ليتابعها، ويبني تصورات له معها، ذلك أنها ترتبط بمواقف فكرية، وتذكر حركة مؤلفها بخطوات ومواقع على رقعة الشطرنج يهدأ بعض منها وينشط بعض آخر، ولابد لنا من التيقظ حتى نلحق بها أو لنقف أمامها وندرك مراميها.

يتصور سليمان الشطي قارئه مزوداً بالصبر وقدر من الثقافة ومعرفة التكوينات الفنية للقصص كي يعوض الفجوات بين المواقع، ويشدها بخيوط تكامل بينها، وهكذا يبدو هذا المؤلف لا يقدم كل ما عنده، ويترك حرية لتأويل رؤيته، وليسهم القارىء بدوره في رسم الأحداث أو النتائج، فالزمان في القصص متداخل والانتقال بين الماضي والحاضر متعدد، ويستفيد المؤلف من أسلوب القطع السينمائي مع فارق الجهد في المعايشة، وإدراك مفردات كل تكوين.

ويصدق على نتاج الشطي القصصي أنه عمل جاد وممتع، وهو يستطيع الانتشار والوصول إلى مساحة

واسعة من القراء بصحبة حوار نقدي لا يشرح ويحدد وإنما يضيء ويكشف ويفتح الأبواب لقراءات أخرى، وقد تنوعت التجارب الإنسانية في هذه القصص بأبعادها المحلية والعربية وألوانها السياسية والاجتماعية والنفسية وبرزت الواقعية في بعض منها (الدفة، قصة حب عادية جدا)، (صمت الليل)، وتماهي الواقع والرمز في عدد آخر على نحو فريد (خدر من مساحة وهمية) و(بقعة زيت).

وقد خصص الشطي عملين ليرصد العلاقة بين الإنسان والتطور الذي يدهم الحياة من حوله (الهاجس والحطام) و(وجهان في عتمة) ورغم أننا نفسر الأحداث في ضوء درايتنا بسياقها أي أنها تجري في المجتمع القريب من المؤلف إلا أنها تحمل في طياتها أبعاداً لتجارب العربي في العصر الحديث، وكذلك نجدها صدى لما يحفل به العالم الثالث من اختيارات في مواجهة الزمن ودولابه المتسارع، وقد حرص المؤلف على ألا يفصّل في سمات البيئة (أسماء الأماكن والمدن، والشخصيات) إلا إشارات كالوميض مع قصة (بائع الدهن) من مثل (المناخ، البشوت).

د. فايز الداية

حكاية للآخرين*

هذا هو يومي الثالث.. الآلام تزداد أكثر فأكثر ثم تعود للخمود بين لحظة وأخرى. بدأت الجروح تلتهب حتى أصبحت آلامها لا تطاق، أحس بالتهاب أطرافها وكأنها تتآكل... حاولت أن أرفعها عن مستوى الماء، ولكن في كل بقعة أجد فوق الخشب تلك القطرات اللزجة.. أبدا لاجفاف هذا المكان، كل الزوايا ندية، وهذه أشد ويلات السفن. كل السفن تنز جوانبها ... القيود تزداد وطأتها علي.. أريد أن أتحرك وهذه تمنعني.. سئمت هذا المنظر القبيح: جوانب السفينة وهي تنز بالقطرات المهلكة.. حاولت كل محاولاتي، ظل يطاردها الفشل حتى بعد أن تمكن مني.. الظاهر أنني بدأت أستسلم شيئاً فشيئاً.

أشعر به وهو يصطدم بجوانب السفينة قوياً عاتياً، وأتعذب تحته وهو يطرق أذني كحبيبات تتوالى على

* من مجموعة الصوت الخافت

أذني مع الصباح حتى تهدأ الأشياء، لقد تعودت فعلاً على هذا الجو البغيض، ومع أن الأمور مؤلمة فهناك أيضاً لحظات سعيدة أنسى فيها آلامي. وسعادة السجين سعادة طيبة، حتى هذه الطرقات على الجوانب تتحول أحياناً إلى نغمات متعددة الألوان. فلحظاتي السعيدة تكون مع الصباح حيث يهدأ كل متحرك فتكف الأرجل العارية عن الجري فوق السطح وكأنها تريد أن تحطم رأسي.. طول يومها لا تهدأ أبداً.. ذاهبة آيبة فرضاً عليها أن تمر فوق رأسي مباشرة.. ولكن في هذه اللحظات تتوقف الحركة تماماً، وبين فترة وأخرى أحس بالصوت يعود ثم يختفي ولكن شيئاً أفضل من لا شيء!! هذا هو الحد الفاصل بين عذاب الليل والنهار. هذا النور الضئيل يسمح لي ببصيص من الرؤية.. لأول مرة أحاول أن أتأمل هذا المكان بالرغم من أنه مألوف لي.. نزلت فيه آلاف المرات، واشتغلت ساعات طوال... نظفت قاعها من الماء الذي لا ينتهي تجمعه وملأت بطنها بالحمل المنوع، ولكن لأول مرة أحس بالحاجة، أو بالاضطرار لتأمل هذا المحيط بعيداً عن إزعاج الليل والنهار..

منذ لحظة انتهت متاعب الليل، بدأت الجروح تخمد وتنام والأصوات الأخرى التي ظلت تزعجني طوال

الليالي الثلاث، لقد هرست بهذه القيود أكثر من خمسين صرصوراً، ولكن الثمن كان غالياً، دفعته من حاجتي الملحة إلى النوم.. ازداد هياجهم، أصواتهم الحادة تزداد كلما طال الوقت... ولكنهم الآن هدأوا وانتهت مهمتهم ليبدأ الآخرون في الجري فوق هذا السطح وتتحطم كل ذرة في رأسي.. ومع هذا ففي هذه اللحظة أستطيع أن أستريح ولو قليلاً.. أف.. لقد عاد الازعاج مرة ثانية.. أسمع حركة فوق رأسي. هل قرروا أن يحرموني حتى من هذه اللحظات القليلة.. انفتح الغطاء. إنه ذلك الكلب الأمين الذي يجري وراء سيده دائماً:

- ها... أنت يا... تسمع.

حتى اسمي حرم عليهم ذكره، كم يكرهني هذا "النوخذة" البغيض، إن الحقد الذي في صدره لا ينتهي أبداً، لم يكن خطأي هو السبب، بل إن هذا الحقد وجد فرصته ليتحرك أخيراً، لا ألومه ولكني أشفق عليه.. كم كانت ملامحه قاسية وهو يهوي علي بتلك الخشبة العريضة، كل الحقد تجمع في ساعده أما وجهه فقد تحول إلى شكل آخر يختلف كل الاختلاف عن ذلك الوجه الذي رأيته لأول مرة وهو يبتسم...

سنوات تراكمت منذ أن كان ذلك اللقاء الذي

ازدادت أهميته يوماً بعد يوم، وصورة ذلك اللقاء ترتسم في ذهني وتحرك شعور الكراهية في داخلي.. أنا لا أكرهه بل هو شعور قريب من ذلك، مزيج من عدم قدرتي على إطاقته ورغبة في أن أكون أمامه لأعذبه لأني أدرك تمام الإدراك أنه لا يريد أن يراني ولكن الظروف ترغمه على أن أكون أمامه مع أنه هو الذي أوجدها..

كان يسير مع عمي، يده بيدي يقوده في الطريق، عيناه الغاضبتان اللتان كانتا تهويان علي تضحكان، في ذلك الوقت لم يكن إلا الابتسام.. وحديث طويل أخذ مداه بينهما تتخلله تلك الضحكات.. صوته هو الأعلى، أما عمي فيطلق ابتسامات خفيفة وإن كانت صادرة من قلبه، أو كلن يتصنع عمقها... ذلك الشعور الذي جعلني أسرع لأمسك يد عمي بدله هو نفسه ظل يلازمني طول الوقت منذ أن رد علي تحيتي غير المسموعة.

- أهلاً.

- عندما أعود لتلك النظرة، والضحكات التي تلاشت أحس بأن هذه هي البداية التي تطورت بعدها كل الأمور لتنتهي.. آه.. هذه الجراح والقيود لن تنتهي آلامها أبداً...

- إن الكلب الأمين يهزني؟

– ألا تسمع.. إنني أسألك.

تقف فوق رأسي أيها التابع الذي لا يمل الانحناء... يتأملني برفق هذا الذي لم يكن بيني وبينه إلا حديث العابرين.. وراء "النوخذة"... يحمل أغراضه، ويقدم نعاله، وحنجرته ترتفع وتنخفض مرددة عمي.. عمي.

– ماذا تريد؟!

– أسألك هل أنت بخير.

– من.. أنا

يستدير حولي، إنه يفحص قيودي.

– تسأل عني أم عن القيود.

لأول مرة أرى أن عينه اليسرى فيها نقطة بيضاء في سواد عينه بعد أن رفع رأسه وهز الحديد المتكوم حول جسدي والذي يمثل مداه مقدار حركتي – تكرموا بمساحة لابأس بها.

– أبداً.. إنني فقط أتأكد من سلامة جروحك.

– شعور ضاحك ينتابني.. يتأكد من سلامة جروحي!.. يؤدي واجبه لسيده كمخلص أمين.

– بلغ سيدك أنني بخير.. والآن هل تستطيع أن تفارق وجهي.

- حمد.. حبيبي.. لماذا تحمل لنا هذه العداوة.. ألا تعلم أنك كنت مخطئاً.. فكر بنا وبنفسك...

- أتدرك المصير الذي كان يمكن أن نؤول إليه لو أنك تمكنت من بيع مؤنتنا.. أتعتقد أنك على حق.. أبداً.. سأفارقك ولكن لم تكن على حق ولم تكن أيضاً مع صالحك..

يعتقد أنني لا أدرك خطأي، إن إحساسي بالخطأ لم يفارقني حتى وأنا أتم الصفقة التي انتهت بهذه القيود، ولكن هذا لم يمنعني من إتمامها. ليس هناك أي شيء كان يستطيع منعي من إتمامها، وأنا أتخيله يأمر وينهي.. طول عمره يأمر وينهي ولكني استطعت أن أحطم كل هذه...

***

كان لابد للخبر أن ينتشر ويصل إلي وعرفت كل شيء، أدركت سر تلك الضحكات وذلك الاهتمام هذا "النوخذة" اللعين يحب بنت عمي. الهمهمات تنتهي بأن تكون أخباراً واضحة.. هذا اللعين يريد أن يحتضن ابنة عمي كما احتضن يد عمي.. حصة.. يحبها وتحبه.. حقاً شاهدت كل شيء. إن تلصصي أعطى ثمرته.. يمشي متمهلاً أمام المنزل، عيناه تتحركان بسرعة وترقبان كل زاوية في الطريق ثم صوب نظره إلى السطح، وهناك كان

رأس ابنة عمي يبرز ويرتفع ثم تنطلق يدها بإشارة، تبعتها ابتسامات متبادلة.. وانتهى كل شيء...

بدأ شعور المقت يتملكني، لم أغضب، جلست هادئاً في زاويتي حتى مر من جانبي مسرعاً.. ظهره الشيء الوحيد الذي أخذت أتأمله وهو يعدو منطلقاً.. وخطر ببالي خاطر فأسرعت أقطع الطرق طريقاً إثر الآخر حتى أصبحت أمامه مباشرة، لايزال مسرعاً، وكل حواسه يقظة وأكاد أسمع قلبه يدق... ازداد ارتباكه وهو يراني أمامه، وهز رأسه يحييني، وأخذت أرقبه وهو يسير.. وخطبت حصة وكان لقاؤنا الثاني هذا يمثل انتصاري على هذا النوخذة اللعين..

***

ومع ذلك استطاع أن ينتصر أخيراً، ظل يضرب والحشود ترقبه وهو يتفرد بي وقد ملك الحق في أن يقتص مني أمام كل البحارة.. يشفقون علي ولكن أحداً لم يتقدم ليكف عني هذا الانتقام... ولكن هذا الانتصار لم يكن كاملاً.. حطمت قلبه قبل أن يجس شعره من جسدي.. تمنيت أن أقول له الكلام الذي ظل في صدرينا.. ولكن هذه الجموع تمنع كل شيء.. ليته نقلني إلى غرفته حتى

نكون وجهاً لوجه.. يعـذب جسـدي وأحـرق قلبـه.. إن جراحي والقيود لاتزال آلامهما حية..

***

عادوا يتحركون فوق رأسي مرة أخـرى، لا أدري ما الذي يدفعهم لهذه العجلة في العمل.. شهور طويلة وهـم على هذه السفينة الملعونة ومع ذلك فعملهم لا ينتهي أبـداً.. يتجدد في كل لحظة، العمل يعني استمرارهم وسكوتهم هـو الموت.. هذا صرصور يتحـرك فـوق تلـك الأخشـاب المتقاطعة التي تمثل قاع هذا السجن.. يتحركون في كـل الجهات، من خشبة لأخرى.. أف.. أف.. سقط أخـيراً.... ويل للصرصور حين يسقط على ظهره، أرجلـه تتحـرك بسرعة، كل قواه مركزة فـي هـذه الأرجـل المرتفعـة المنخفضة ولكن لا أمل.. ألم أقل أن ليس للصرصـور أي أمل حين يستلقي على ظهره... بـاعت رجـلاه بالفشـل، وأصبح الطعام بعيداً.. ياترى ما الذي دفعني إلى بيـع زاد السفينة. هل كنت محتاجاً لثمنه؟.. كنت أريـد أن أحصـل على بعض المال.. عمي.. حصة..بدأت الفكرة في نفسـي وأنا أستمع لذلك الحوار الهامس بين الرجلين:

- اسمع.. هل نلتقي الليلة..

- نعم.. السفينة ليس بها أحد.

- سأحضر قاربين..

- لا.. قارب واحد.. لا أستطيع أن أبيعك كل المؤونة، إن هذا سيعرضنا للموت..

- إذاً كم ستعيطيني؟!

- كيسان من الرز، وبعض التمر.. أشياء.. أشياء أخرى منوعة.

- خير.. سنلتقي مساء.

- والثمن.

- سيكون مع صاحب القارب.

بدأ الخاطر يقلقني، ازداد علي في الإلحاح، منذ زمن وأنا أفكر بشيء - أي شيء - أغيظ فيه هذا اللعين.. يالهما من خبيثين كل شيء يتم ولا أحد يعلم أي شيء، القليل دائماً لا يتضح مع ديمومة ربحه.. طرأ على فكري المال منذ أن حرمت منه، ما الذي كان يتخيله عمي، يوقفني أمامه ليسمعني تلك العبارات المقلقة، يستولي على كسبي لا لشيء إلا لأنه عمي ووالد زوجتي:

- اسمع يا "نوخذة".. لا تعطه إلا القليل، والباقي

سلمه لي عند عودتك.. لا فائدة من صرف الفلوس في بلاد الغربة.. سمعت يا عيسى.

- حاضر...

بهدوء وتفكير كان ابن الكلب ينطق بكلمة "حاضر" ما الذي سلطه علي.. بل لماذا اخترت أن أكون أمامه، رغبتي في أن أكون أمامه لأذله مكنته من إذلالي، منذ أن سمعت باسمه منذ زمن وهو يغيظني، دائما يمثل الشخص المحترم الذي يعتمد عليه، ومع ذلك أراه يجري ملتفتا وراءه بحرج ونظراته الزائغة، وتلك الإشارات لابنة عمي، ماذا يسمونها.. هل يعتمد به عليها...

وأراد عمي أن يزيد من إذلالي وتعذيبي..

- أسمعت.. لن يعطيك.. النوخذة إلا ما تحتاج إليه..

دفعني لبيع ما تحت يدي من مؤونة، تلك الصفقة التي خدعني بها ذلك الهندي الخبيث.. الشيء الغريب أن الصرصور لايزال يقاوم.. أقدامه تتحرك وتتحرك.. ولكنك لن تفلح.. أبدا لن تفلح، إلا إذا هشمتك بهذه القيود، ستموت وتكتب لك النجاة.. الذي أغراني بهذه الصفقة ما هو.. جميل أن نفكر قبل الأعمال، أما بعد أن يتم كل شيء

فمن الصعب أن نتوصل إلى قرار.. حتى حصة حـــاولت أن تمد يدها لتساعدني على إتمامها..

- أريد أشياء كثيرة.. ألم أقل لك إني حامل.

- أعرف هذا.. ولكني سأحضر لك ما أستطيعه.

- أبداً.. لو رأيت ما أحضر عيسى لزوجته..

إذن هو عيـــسى.. دائماً هو الأفضل.. حتى أنـــت يا حصة.. ألاتزال تلك الشوكة في قلبك.... كان لابد وأنـــا أسمع حوار ذلكما الرجلين من أن أقوم بشـــيء.. وافترقـــا وأخذت أسير وراء الهندي، وبالرغم من أنه كان مســتعجلاً إلا أنني أمسكت بكتفه والتفت إلي مستغربا.

- اسمع يا سيدي.

- نعم

- هل تسمح لي بكلمة واحدة.

- تفضل...

- أتشتري أرزاً وتمراً.

وصرخ فزعاً.

- ماذا؟!..

تغيرت أحواله وظهر الارتباك بينما أخذت شفتاه تتمتم:

- كيف تقول هذا...

- سمعت كل شيء بينكما.. أقصد أنني يمكن أن أعطيك بسعر أقل من سعر ذلك الرجل...

- ولكن من أنت...

- بحار.. بحار في سفينة عيسى.

- أتعرف ما أنت فاعل....

- أدعوك لصفقة فهل أنت على استعداد!

- نلتقي مساء!

- والثمن...

- مثل صاحبك.. سيكون مع صاحب القارب وهو الذي سيقدر كل شيء..

- أخيراً.. وللمرة الثانية سأنتصر عليك يا "نوخذة الهموم.. نتقابل كل يوم طوال تلك الشهور أراك من بعيد في أعلى السفينة.. إشاراتك التي توجهها "للسكوني".. جلستك هذه التي تشعر بالعظمة والنجاح.. كل هذا يرتعش

عندما تراني أمامك، ومع ذلك قبلت أن أكون معك.. ياترى لماذا لم ترفض..

- أمسك عمي بيدك وقال وهو يتحسسها:

- عيسى.. أريد أن يكون أحمد معك..

- لابأس..أنا أحتاج فعلاً لبحار...

* * *

وتم كل.. أعددت الأمور لتتم الصفقة في المساء، لأول مرة تخدمني صفتي كخازن لمؤونة السفينة، كنت أكثر البحارة إلزاماً بالحراسة.. قبيل المغرب بقليل أو معه.. الأمور كانت تسير كما أريد، والسفينة خالية من البحارة.. عمي سيخيب ظنك فهأنذا سأحصل على ما أريد من الفلوس، ولن تستطيع أن تمنعني من الاحتفاظ بما أريد من المال.. طال انتظاري وأنا أحدق في الأفق منتظراً القارب، لم أكن أريد أن يقبل المساء تماماً قبل أن تتم الصفقة فبعد المساء بقليل سيبدأ بعض البحارة بالعودة ومع منتصف الليل سيعود هو بنفسه.. هذا الذي أريد أن أحطم ثقته بوضعه في مشكلة لن يستطيع منها فكاكاً وسأرى كيف سيتخلص.. إنني أحس الآن بعد أن انتهى كل شيء أنه كان وراء هذه.. نظراته كانت تدعو إلى

الإسراع في الإنغماس بها. لقـــد اســتطعت أخــيراً أيـــها الصرصور أن تتغلب على مشــــكلتك.. فرصتــك كـــانت ضئيلة، ولكنك انتصرت، واستقرت أخيراً أقدامك المرتفعـة على الأرض... لك الحق.. كل الحــق فـــي أن تجـــري.. ظفرت.. أما أنا فغير الذي توقعت كان يجــــري.. أكـــان من البد أن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن..

أخذت أحدق بالماء بحثاً عن حركة أو قارب، لــــم أكن أدري أن ذاك الكلب قد خدعني.. مـــــرت اللحظـــات الثقيلة القلقة كل دقيقة تؤخر لحظة الانتصار...

وبدأت صورة القارب تبرز، أحسست به وهو يثـير الماء من حوله، وأخذت الأشباح تبرز. كل شيء كان معداً على سطح السفينة، فقط يقترب القـــارب وينتـــهي الأمـــر بلحظات.. ازداد عدد الأشباح، كنت أعتقد أنه سيكون فـــي القارب رجل أو رجلان، ولكن العدد كان أكثر.. والتصـــق بالسفينة..

- حمد.. هل أنت مستعد.

- نعم...

كان ذلك صوت الهندي، ملأ الفرح نفسي.. أخـــيراً وصل بعد أن أهلكني بطول الانتظار..

- أنا مستعد.. اجعل القارب محاذياً للسفينة.

بدأت فرحة النجاح تملأ قلبي.. امتـــدت أياديـــهم تتسلق الحبل لتصل إلى أعلـــى، حســناً هــذا أول واحــد يصعد.. ليت كل ما يحيط بي يتحول إلى سكاكين تقطعنـــي وتقطعه، لم يكن أحد من الصاعدين أجهله. كلـــهم كنـــت أعرفهم.. خدعني ذلك الهندي الخبيـــث.. القـــارب ملـــيء ببحارة السفينة، وكان هو.. هـــو لا أحـــد غـــيره يتقـــدم المجموع...

حتى الظلام الذي بدأ يطبق على الدنيا لـــم يخـــف وجهـــه عن عيـــني.. وحده الذي حول - وفـــي آخـــر لحظة - النجاح إلى فشـــل.. اســـتطعت أن أمـــيزه وهـــو ينتصب على جانب السفينة.

- أهذا ما فعلته يا كلب.

- أنا.. أنا كلب يا صرصور.. لقد قالها فعلاً.. أنـــا كلب.. عاملني ككلب.

- امسكوه هذا الحرامي السافل..

تحرك الجرح أخيراً، عاد مرة ثانية يتحرك.. كـــم هو الآن منتصر.. لست أنا الذي يرتبك أو يخـــاف، ومـــع

ذلك ارتبكت وخفت.. هذه الأنظار تحيط بي ودائرة تكونت من الناظرين..

سقطت كوفيته، رأسه أسود مع بدايات من الشيب متفرقة، لأول مرة أراه هكذا، وجهه عواصف. له الحق هذه فرصته التي لم تتكرر وهو خير من يستغل الفرص، صرخ.. وشتم، وقال كلاماً كثيراً، ولكن ملامحه كانت دائماً تقول الأكثر. ذراعاه فيهما كل القوة..أحسست بالألم، ولكنه ألم إنسان يتفرج على شخص آخر يتعذب بأقصى صنوف العذاب..يقشعر بدنه، يحس بأن شيئاً يعتصر قلبه، وتنهشه الآلام، ولكنه مع كل هذا بعيد عن العذاب.. أنا هكذا، أنسى ما هو واقع ولكني الآن أتعذب أكثر... كلما تذكرت أنني كنت المضروب.. هذه الجروح تذكرني..

تلك الليلة اللعينة، وأنا ملصوق بالصاري، الليل، والبرد.. والعيون التي ترتفع لتراني ثم تنخفض متصنعة البحث عن شيء.. ويل لنا من الكلام.. طول تلك الليلة البغيضة وأنا أسمع تلك الهمهمات تدور وتدور مرددة، اسمي.. كلهم أصبح شريفاً.. حتى هو أراه من بعيد يوجه لي النظرات ويتشاغل.. كيف عرف بالصفقة.. ذلك الكلب يعرف مع من يتعامل. يتصنع الشرف معي أنا..

أف.. أين أنت أيها الصرصور، ألاتزال هنا، لقد

عادت الحركة مرة ثانية.. لك الحق، في أن تهرب.. لقد كسرت قيدك، ولكن هذه التي بيدي كيف السبيل إلى كسرها.. يتحركون فوق رأسي.. ويل لي ماذا يريدون.. ينزلون في هذا المكان القذر، هذا القاع المظلم الرطب.. وهو أيضاً معهم، عرفت لماذا تهرب يا صرصور، لقد دنس المكان.

- فكوا السلسلة.

قالها.. ليته يموت ولا ينطق.. كل الألسنة تقطع حتى لا ينطق هو بهذه الكلمة، ليتني لا أسمع..

وأخذ يعبث بجيبه، وأخرج خطاباً من جيبه.. كلماته سريعة أسرع من تلك العصا الهاوية...

- خذ هذا المكتوب.. وصلني من أيام، زوجتك ولدت بنتا.. اقرأ له الخطاب يا يحيى...

وأدار وجهه ليوليني ظهره.

سبتمبر ١٩٦٩

جسد*

من العـادات التي لاحظتها على أمي هـي أنـها تفتح فمها بإنزال شفتها العليـا والضغـط علـى أسـنانها لتسيطر على كلماتها وكأنها تقوم بتصفية لها، ونلمح أسـناناً بيضاء قوية ثابتة لا يشوب منظرها شائبة لولا الثلاث التي انكسرت أطارفها فتشرشرت بفعل حادثة قديمـة. وحيـن تميل على من تحدثه تشفع ميلها بابتسامة معتذرة قالت ابنـة جارتنا عنها إن السماحة تطل من وجهها، ولم يتورع أحـد الزملاء، حين حمل إليّ رسالة عاجلة، من أن يقـول لـي عنها بأنها تمتاز بطلعة جميلة لا يخطئها الناظر إليها مـن بعيد، من المؤكد أنه لم يرها وهي تتحـرك حيـث يبـدو الالتواء القديم في قدمها، أثراً بادياً في المشية فيرتفع جـزء من المؤخرة ويهبط آخر. وقد أصبح لا يثير الانتباه بحكـم مزاحمة الشيخوخة له، هذا العرج الخفيـف يثـير حكايـة قديمة وعندما يسألها عنها سائل ترد بابتسـامة غامضـة،

* من مجموعة "أنا الآخر".

بعض السائلين يتحلون بالبراءة ولكن آخرين كنت أشعر أن سؤالهم يخفي وراءه باعثاً مبهماً لم أجد في ذاكرتي من الأحداث ما يساعدني على المعرفة. وألفت هذه الحركة الملتوية التي تثير اللعاب في الأفواه المتسائلة وهي تشفط هواء الاستغراب وتكون للعيون حينئذ لمعة غريبة.

أمي هادئة هدوءاً قاتلاً مستسلماً لولا تلك الانتفاضة التي تأتيها مفاجئة فتتحول ردة الفعل إلى حركة عنيفة لا سبب ظاهراً لها، حركة جفول غير منسجمة مع طبيعتها.

***

في جانب الوجه أثر واضح من ضربة مفاجئة، خط هلالي مغروس يتضح مداه عندما تحرك (ملفعها) الساتر لأجناب الوجه، فيلمع المشباك الذهبي، وفي الوقت نفسه تسمح حركة الرأس برؤية أول الجرح بينما الحركة اللاإرادية المستمرة لتوسيع أجناب غطاء الرأس تكشف عن امتداده، الذي تحول إلى أخدود قديم تضاءل السؤال عنه، فلا أحد يلتفت إلى شروخ في وجه امرأة تجاوزت الستين، وإن كان بعض زميلاتي أشرن إلى أن وجه أمي صبوح لولا هذا الجرح الذي لم يكن وراءه حكاية تستحق الرواية، ونحن الأبناء لا نبحث عن شيء وراء حكايات

الآباء، فهذه الخطوط التي تسجل أعمارهم نراهـــا شـــكلاً هلامياً لا ينبىء عن شيء.

ولكن الجارة القديمة التي التقت بها فـــي المطـــار حرصت على أن تتعرف على حدوده فدست أصبعها بيـــن (الملفع) والوجه متمعنة في الجرح القديم الغـــائر الممتـــد والذي تغضنت أطرافه وتلاحمت بتشويه، فـــأصبح وادياً مسيطراً على شكل وتضاريس الوجه الذي استطال.

كانت الجارة تطري ذلك الجمال القمـــري القديـــم فراحت تتحسر عليه. من المؤكد أننا نحتفظ بصـــور فـــي داخل أذهاننا عن أناس فنتوهم المتوســـط فـــائق الجمـــال والمعتدل القامة طويلاً، الزمن يولد دهشتنا، وهذه الجـــارة مدهوشة، حقيقة إن أحداً لم يقل إن أمي لم تكـــن جميلـــة، ولكن المبالغة عند ذلك الجيل تثير في نفسي شكاً كبيراً.

سعادة أمي بهذا الإطراء فكت عقدة اللســـان، كنـــا على ارتفاع ستة وثلاثين ألف قدم عندما راحـــت تـــروي متوسعة ما حدث، خرجت عن تحفظـــها الـــذي أعرفـــه، واكتشفت موهبة مدفونة هي قدرتها على تقديـــم العـــادي بطريقة غير عادية، ومن خلال سردها انكشف لي مـــاضي طبيعتها المتعلقة بالأصوات، ليس كلـــها ولكـــن لبعضـــها صدى خاصاً يسبب ردة فعلها غير المتوقعة..

من حكايتها أدركت أن التكريم لا يكون في كل الأحوال فاتحة خير، فقد هبط عليها بعد حين من الدهر أصبحت الحياة فيه طعماً مشبعاً بثقل من شجن متراكمة خطوطه، فقدت ولدها الثالث، ومرت بنهر العذاب فتجمعت قطراته عليها، لحظتئذ رأى والدي ومعه أصحاب الرأي أنها تجاوزت حقل الامتحان الأول، فالعمر ألقى بحباله عند شاطىء الحكمة (والتكانة)، فمست الثقة دنياها، فسمح لها أن تخرج إلى السوق، تقضي حاجات النساء، مرة أو مرتين في الشهر وفي المناسبات مثل مقدمات الأعياد وشهر رمضان، وتكون معها، عادة، رفقة تراقب وتعصم.

التردد أصل عندها، والعادة عجلة تطوي ما تحتها، فالمنحة تأخرت، فأصبح نور الشارع حارقاً للعين مربكاً للخطوة، لم ترحب بهذا الفضل لولا الضغط الداخلي، فقد مل من حولها ذوق الرجال الذين لا يجلبون لهن إلا كل غريب وساقط في السوق، كان آخرها ملابس عسكرية من مخلفات الحرب.

حياة أمي لا تدخل منعطفاً جديداً إلا ويكون ثمنه حاضراً، وهذا الخط المتعرج في الوجه شهادة مقبولة. خروجها الخامس للسوق هو المحسوب لها وعليها،

فالمرات الأربع السابقة كانت تابعة لذوات الخبرة ممن لهن قدم راسخة.

اتخذت سَمْت القائد، فالتي كانت معها أصغر سناً والمسؤولية حرج يجعل الأقدام أثقل من المعتاد.

ولكن بين تقاطعات السوق ودكاكينه تأخرت الرهبة وتقدم الانهماك.

ارتفاع الصوت الرجولي الخشن إيذان بأن ما هو متوقع لم يتم كما قدر له من قبل، تفجر صراخ الرجلين فاستوى مؤشر الصراع عند حده العالي، تطامنت كل الأصوات الأخرى إلا صوتيهما فجاء الصراخ كهرباء صاعقة شلت قدرات أمي المتفتحة في ذلك اليوم فأعادتها إلى الاضطراب فالانكماش.

تقارب ديكان فانتصبت شعرات الغضب سهاماً مصوبة، اندفعا من الجهتين، أحدهما عن يمينها والآخر عن شمالها، فأصبح موقعها على رأس المثلث. تماسك كل ما فيهما بعنف شرير فكانا كتلتين متلاحمتين تتقافز منهما حركات الحدة الطائشة، التحامهما يهصرها في الزاوية التي حشرت بها، وانفتح رعب بنيرانه.

لم تستطع أمي أن تشرح الكيفية التي ألقت بها

وسطهما، وإن كانت تخمن أحياناً دون تأكيد بأنه عندما انفجرت تلك الصرخة الحادة فقدت توازنها فارتدت إلى الوراء فإذا هي في الزاوية، وفي لحظة تمكن أحدهما من الآخر فراح يدفعه ليحشره في الزاوية التي سبقتهما إليها، ولكن الآخر استعاد سيطرته على الموقف فتجمدا عند أنفها وخوفها يضغطها إلى الخلف فالجنب، زاوية الخد اصطدمت واستقرت على الحافة الحادة العارية للباب الحديدي الجرار والذي كانت أطرافه دالة على عمل غير متقن.

وعندما تداخلت الأيدي الخشنة لتفك الكتلتين المتصارعتين كانت أمي أكثر الثلاثة نزفاً، قطرات الدم تشرشر فيمتصها ثوب يخفي سواده احمرار الدم الدائم.

* * *

حينما تسمح لأصابعي بتخلل شعرها تصطدم بنتوء في رأسها لجرح آخر لم يخفه شعرها الكثيف والذي كان أقرب إلى الخشونة فلم تستطع السنوات أن تأخذ منه شيئاً، المنظر يكتمل حينما تجلس في منتصف غرفتها ومن الشباك تبسط الشمس مستطيلاً داخل الغرفة، نصف جسدها في الشمس وقد تربعت ومشطها الخشبي يتحرك بين خصلات شعرها، الشهبة غالبة على السواد، لا يكاد

مفرقها يفصل إلا عن خط دقيق بينما يتكاثف الشعر في كل جزء ولا يشذ عن هذا إلا جزء صغير شبه دائري تحيط به جذور الشعر الممتد، بقعة بيضاء تكشف عن فروة الرأس. لقد ألفت هذه البقعة منذ أن أقحمت نفسي رغماً عنها محبة في تضميخ شعرها بالزيت، السؤال عن الأشياء القديمة في هذا البيت متوقف، فكل شيء كان موجوداً قبلي جعلته الألفة جزءاً من الطبيعي الذي لا يسأل عنه.

ولكن هذه البقعة المنكشفة، بالذات، أعرف تاريخها، كنت في الثالثة عشرة حينما احتضنتها وقد امتزجت بقع الدم بلون الفستان المدرسي الأخضر الكريه الذي اختاره مفتش من مفتشي المدارس تكلس ذوقه في سواد السبورة وبياض الطباشير. فاجأني المنظر فانزرع الرعب فهربت إليها فتلقفتني ممسكة بي بيد والأخرى تضغط على رأسها، على فوهة ينبثق منها الدم وقد سالت خطوطه آخذة اتجاهات متعددة نازلة من جوانب الرأس، الجبهة والرقبة والجيد والأجناب، منظر ظل يتجدد كلما رأيت خطوط الحناء، حينما تضعها في رأسها. تسيل داكنة في نفس خطوط الدم السابقة. أخذت تهدئني والوهن باد عليها، والدي يقبل وقد حمل بيديه عدة الستر: العباءة

والبوشية، يحرص على تغطيتها ويمسكها من جانب الكتف.

بعد ثلاث ساعات عادا وقد تورم رأسها بالشاش الأبيض، ذهب روع أبي وبقيت كلمات اللوم واضحة وإن خففها بكلمات مثل: (الله يهديها)، (الله يسامحها) (ما عندها عقل).

عندما نتبين الأمور نضحك. فالمصادفات تتلاقى فتنشيء وضعاً أو حادثة، فوالدي الذي لا يحب أن ترتفع الأصوات في بيتنا اضطر إلى ما لا يحب عندما حشا الطبيب أذنه اليسرى بالقطن. وهو مغرم بسماع الراديو وخاصة التمثيليات التي يحرص على سماعها لوحده، يقلب رأسه بطريقة معينة نحو الراديو ويسد منافذ الصوت فلا يشاركه في السماع أحد. تُفتتح حلقة تمثيلية ذلك اليوم بالصوت الرجولي يتصاعد ضخماً حاداً صارخاً يحمل هجوماً كاسحاً على المرأة التي لم تنطق:

- ماذا تفعلين..

الصرخة كانت كافيةِ كي تفاجيء أمي التي لا تفرق بين الأصوات، فزعها قذف بها إلى الأعلى، طار الجسد فاشتبكت قمته بالشباك الحديدي الذي كان زخارفه

أسياخاً ملتوية إلى الخارج. لم تستطع أن تفسر لأبي شـيئاً، واعتذارها عن خطئها دموع وهمهمات. بعد سنوات سألتها وأنا أمر بالزيت على شعرها فكـانت إجابتـها: انصـب الصوت داخل أذني وكأنه رصاصة انغرست في صـدري، صراخ والدك مقدمة لشر قادم، ولم أشعر وقتها إلا والسيخ في قمة رأسي. شعرها جميل لولا هـذه البقعـة، وكـانت محاولاتي تفشل في تغطيتها، كانت غرزها مـن السـوء بحيث تدبب الموضع إلى الأعلى، فأصبحت البقعة البيضاء واضحة.

***

عندما كنت أقلب جسدها المتخشب كـي أضمخـه بالبودرة المطهرة إبان نكساتها الصحية كنت ألاحظ امتـداد الحرق، أطرافه تبدو في باطن الفخذ، الأثر مثـل غصـن مكتظ بأوراق جافة. من قبل كنت ألحـظ الحـرق حينمـا تتخلص من حرصها الشديد على حمايـة جسـدها، قلبـي يتقلص وأنا أقلب الجسد وأرى تغضنات الحرق القديم وقـد التفت حتى الخلف.

كنا في منتصف الستينيات، دخلت وسائل حديثـة كثيرة إلى منزلنا، شيئان لم يسـتطيعا اخـتراق تحفظـات

والدي، فهو لم يقبل أبداً نظام المنزل الافرنجي، ولم يتخيل أن يكون بيته خالياً من الأحواش المربعة، وعندما زحفت أطراف من الحظ إلينا اشترى بيتاً جديداً على النظام القديم، فرحتنا به لا حد لها، بأرضه الملساء وحماماته المتعددة، البلاط المزخرف والصنابير التي ينحدر بها الماء من باطن الحائط، وحوشه الكبير الذي يخفي خلفه حوشاً صغيراً مستطيلاً مندساً بعيداً عن العيون، فيه المطبخ والحمام وحوض الغسيل، وهذا الحوش هو المكان الوحيد الذي تحولت أمي إلى جزء منه، تحبه لميزة خاصة هي بعده عن الشارع والذي يجعل الأصوات والمفاجآت بعيدة.

الشيء الآخر أن والدي، رغم حرصه على شراء كل جديد لنا، لم يتنازل عن الخبز الرقاق الذي يغمسه في (اللبن) الرائب، وهي رغبة لا تملك أمي لها رداً، بل تسعد بها، تشعل نارها في حوشها الصغير حيث تتجرد من الحذر والترقب، وتترك ليديها حرية التحرك على (التاوة) في الأمسيات أو بعد صلاة الفجر.

ولأن حياتنا يدخلها جديد كثير فإن مفارقات هذا الجديد قد تحمل معها أذى غير متوقع، وهذا الحرق

المتلوي في جسد أمي واحد من هذا، فعندما أشعلت النـــار وتمكنت من جلستها منحنية على التاوة التي بدأت تتشـــنش بصوت لهيبها وسعادة بادية على وجه أمي وهـــي تــرش بزجاجة ذات ماسورة ركبها والدي تضخ الكيروسين الــذي يساعدها على إذكاء اللهب بدلا من النفخ المتوارث.

الإنهماك حالة من حـــالات الغيبوبة التـــي تعيـــن على استهلاك الوقت المتطاول داخل البيـــوت المربعـــة، وطبيعة فيها راسخة تفصلـــها عمـــا حولـــها، والحـــوش المنزوي عالم يسمح لها بهذا كله.

من الســـهل أن يختل النظام بفعل صـــوت، ولـــم يكن في هذه المرة صوتا واحدا ولكنها أصـــوات أعقبتـــها فرقعة، كان صوت الرجل الشبحي يأتي من أعلى ســـطح الجيران قويا يمتد مع اتساع الهواء وانديإحه فـــي فضـــاء السطوح وتلاقت معه الأصوات الأخرى والفرقعة لتتسـكب هذه كلها متضخمة ومنحدرة إلى الحوش الكبـــير كاندفـــاع الهواء في واد صغير لتصب كلها في أذن أمي اللاقطـــة، أصوات سكاكين تنحدر منحطة عليها. وجاءت ردة فعلـــها أطبقت فخذيها بقوة وبحركة واحدة تحركت اليـــد لتجمـــع ثوبها المنحسر عن أطراف جسدها. مع الالتفاتـــة انكفـــأت على جانبها لتصطدم، كالعادة، اليـــد الطائشـــة بالزجاجـــة

الرشاشة التي انثلم طرفها على حافة (التـــاوة) وانســكب السائل ناراً شيطانية تتدفع مخالب معقوفة، تتشب بالفخذ.

وظلت أمي أكثر من شهر تتلوى في الغرفة وقـــد عرى ســاقها تغطيها كلة بيضاء، كان والــــدي يحــرص على إحكام جوانبها وينش الذباب عنها وهو لايزال يتعجب من ردود فعلها وعدم حيطتها، ورغـــم تظــاهره أمامنــا باحترامه لها فإن شفقته عليها هي الأكثر بـــروزاً، وكــان لايزال يرى أنها بلهاء بل يقول عنها أحياناً إنها بهيمة.

وعندما أرفع رأسي وأرى خزان مـــاء الجــيران الذي بدأت أطراف الصدأ تسيل منه أتذكر العمـــال الذيــن تجمعوا فوق السطح حوله عندما كان جديداً وقـــد تطــامن صوتهم وملكهم الخوف والحيرة حين فاجأهم منظر النـــار والمرأة.

كان الجرح بارزاً متخشباً تحت يدي وأنـــا أضـــع البودرة عليه.

***

الأصوات وحدها لا تصنع كلمــــات، لــذا يبقـــى المعنى متوارياً لا نعرفه، غمغمة وعبارات ترددها حيـــن التعرض لالتواء القدم، تردد قائلة إنها عندما كـــانت فـــي

السابعة عشرة من عمرها تهاوى بـــها الجــدار الحـــامي للسطح والذي تفتتت أطرافه بسبب ديمة مملــة، وتضيــف في حالة الإنفراج أن سقوطها كـــان إلـــى الشـــارع، وأن شخصاً فر منزعجاً عندما رأى جسداً ينحـــدر عليـــه مـــن الأعلى بعد أن سبقته قطع الطيـــن، وأن جيرانـــاً كثـــيرين تقاطروا إليها، وحكت متذكرة (البشت) الذي ألقـــاه عـــابر عليها، ووصفت منظره الخجل حين وقف ينتظر اســـترداد بشته وقد انكشف ســـره، فقد كان مزقـــاً مهلهلـــة يخفـــي عيوبه بطيه ووضعه تحت إبطـــــه. نـــوادر تـــروى أمـــا التفاصيل الأخرى فقد ظلت صفحة مكشوفة عنـــــد أنـــاس آخرين إلا أنا. والآخرون يتحدثون عادة عن كـــل شـــيء ولكنهم – ولهم الشكر والتقديـــر علـــى هـــذا الشـــعور – يتحرجونن فيحجبون أخبار الصفحات المطوية للآباء. لقـــد كان تواطؤاً محموداً، فاختفت بعض أطراف حادثة قديمـــة عادية جداً ولا تستدعي كل هذا. الجارة التي التقـــت بـــها مصادفة الطائرة المتكررة استهواها حديث الأمس فغمزت، ملمحة، إلى الشيطنة القديمة، كانت أحاديثها عن أخريـــات، عن مريوم التي تتخفى بملابس الرجال لتقطـــع (الســـكيك) مساء متجولة ومتنقلة من بيت لبيت، فطومة التي امتـــهنت التنقل بين السطوح مراهنة على أنها تستطيع الوصول إلـــى

السوق من أعلى السطوح، وامتدت مساحة صوتـي أمـي وجارتها عندما استعادا طريقة فطومة وقدرتها على القفز خاطرة السكة من أعلى، ووقفة الفزع التي استولت على ملا علي عندما رفع رأسه وإذا بغمامـة حمـراء تحـدث صوتاً قافزة مسافة الثلاثة أمتار والنصـف هـي مقـدار عرض السكة. وقد ظل زمناً يتحدث عن الساحرة القادمـة من الجنوب، لعلها من عُمان. ولم تخف تلميحها إلى فعلـة أمي فضغطت على فخذها ضغطة ذات معنى مذكرة إياهـا بأن قصتها مع الحائط لا تقل طرافة عن فعلة فطومة.

حين ألحت علي الرغبة باسـتكمال حلقـات هـذه الحادثة دعاني الخبث إلى أن أستنجد بصديقتي المشاكسـة سعاد، وفي لحظة شيطنة وافقتني على أن ما يقـال عـن أمهاتنا لا يقال لنا، وأنا أحب أن أعـرف مـا تبقـى مـن أطراف الحقيقة.

كان تحديد أمي لعمرها صحيحاً، فهي كانت فعـلاً في السابعة عشرة. وأن جدار السطح الحامي تهاوى بـها في الشـارع، وحكاية صاحب (البشـت) صحيحـة، وأن الناس العائدين من السوق، والذي بيتنا القديم فـي بدايـة الطريق إليه، تجمعوا حولها، ولكن هناك خطوطاً أخـرى للحادثة:

انتبهَت الصبية إلى جمالها المتميز، قامتها تقطعت تقطيعاً أنثوياً متكاملاً يملك قابلية جذب الرأس إليها، رأته في عين (الحمّار) الذي لم يكن يعير أحداً أي اهتمام وفي وقفة مساعد الملاّ الخجول الذي لم يقاوم رغبة إعادة النظر إليها أكثر من مرة. ومن يومها تعمدت أن تشد العباءة إلى جسدها فتكور الأجزاء البارزة فيه، وتحرص أن تبعد طرفيها من أعلى فتتضح مساحة من الجسم البشري المنتشر خارج العباءة.فرحها بهذا الشباب وانفتاحها على الآخرين جعلها حمامة يشيع في داخلها أمناً وإقبالاً على كل ما حولها، كأنها تريد أن توزع شبابها على كل أجزاء الطريق، وأصبح الشارع محلاً لأكثر من قادم يتلكأ في انتظار هذه التي تتبختر بين البيوت. تفتح على الدنيا لم يوجد كي يستمر، فقد كان هناك ثلاثة بالمرصاد، جدي طيب ولكنه غير متراخ، أما أخوها فلا يحسن إلا استعمال يده، وتتجسد كل الشراسة في الخال. بعد ثلاثة شهور سكب (الجاز) على العباءة وأشعلوا فيها النار. واختفت طلعتها من الطريق.

بعد أقل من شهر عادت الرؤوس المتلكئة مرة أخرى وأخذت الأعين ترتفع إلى أعلى الحائط حيث السطح، فقد استعاضت عن الشارع بعشق هواء السطوح

المنعش، فتلازم ظهورها مع العصر حتى المغرب. وبعد شهرين، مع أول الظلام، ارتفع صراخها وكان هناك شبحان متقابلان يميلان بعصبية منظمة على جسدها المتكوم، ضرباتهما متناغمة مثل حركة (دق الهريس)، فعليها أن تدفع ثمن الجمال المقبل على الحياة عندما تكون بين ثلاثة رجال يحفظون التاريخ المحلي ومقولات المجتمع المنظم.

انصلح الحال وانعدل الضلع الأعوج، ومضت سنة أخرى أو أكثر، ووجد النسيان طريقه، فلم يعد أحد يذكر الجميلة التي هجم عليها الشباب فانبلج الجمال فظننت أن حقاً عليه للآخرين، ولكن التفتح سنة الحياة وغيرها كثيرات، الأرض تطرح الجميل المبدع، أما هي فقد عرفت حدودها. تآلفت مع الحذر، واعتادت الانحناء عندما تصعد للسطح لحاجة ما، منكبها، حين تتحرك، أعلى من رأسها، ولم تكن تفارقها ارتعاشة خفيفة في قدميها.

بعد سنتين عاد يحيى من مقر دراسته، والده الميسور حرص على إرساله إلى بيروت للدراسة، تغير كبير طرأ عليه، ولكن اهتمام الآخرين به لم يمنعه من أن يخص أمي بسؤال عنها حملته أخته إليها، هذا السؤال أطلق الأفكار التي شدت العزيمة، كلاهما كان يتوقع شيئاً،

فوجد شيئاً آخر، فشخصية يحيى الشرسة العابثة التي اضطرت والده إلى انتشاله من ميول الضياع ودروب الشيطنة تحولت إلى الهدوء، استطال جسمه، بانت عليه الأناقة الجاذبة للأنظار، ارتفع صدره وأصبحت خطواته مستقيمة ثابتة، أما هي النمرة الشرسة القوية الواثقة من نفسها والتي أطاحت به أرضاً مرتين، وسخرت منه بعد ذلك عشرات المرات تحولت إلى عين خجلة تصادق الأرض وتدّعي قراءة التراب وفي صوتها تأتي وصوصة لا حروف لها.

شهور الصيف الطويلة صنعت شيئاً بينهما لا أحد يعرفه. سافر ليعود على غير توقع بعد أربعة أشهر، وفي يوم عودته حدث الحادث. كان ربيعاً جميلاً. ديمة استمرت أياماً، قطرات مائها المتوالية خلخلت جدران وأسطح البيوت الطينية، وعندما سطعت الشمس كانت الحجة قاطعة ومقنعة للبقاء في السطح مع الضحى لنشر كل مبتل، تفتح استقبالها للسماء، واقتربت من الحائط محافظة على المسافة بينه وبينها، أطل يحيى من آخر الشارع مقبلاً، مالت وحاولت أن ترفع جسدها أكثر منتظرة ارتفاع عينيه المتوقع، كانت المرة الأولى التي تصادف خروجه الذي توقعته بعد سؤاله. وعندما رفع رأسه انقطع حذرها

فضغطت على الجدار أكثر فـأكثر، حواسـها انصـهرت متكورة شوقاً. تلكأ أمام باب المنزل المقابل، كانت هنـاك طلعة ترابية مرتفعة عن مستوى الشارع فاعتلاهـا، أرادت أن تطلق صوتاً فخرج هواء مندفعاً مـن الصـدر يحمـل معنى دون كلمات. ارتفعت يده بإشارة لها معنـى، هـزت رأسها كي تستكمل فك الشفرة، كـل وجدانـها وحيويتـها مركزة لتفسير الإشارات السريعة، كان مـن الممكـن أن تتكامل الرسالة.. لولا..

... صوت خالها الجهـوري المشرشـر، ارتفـع فجأة ليقول شيئاً، تجسم، تعملق تحول دوياً تفجر الخـوف فالتهم ذعرها شوقها، ودفعت رجلها لتنطلق ولكن حركتـها تحولت إلى قوة ضاغطة على الحائط الطيني، الذي اهـترأ من المياه وقد جففت الشمس بعـض أطرافـه، وتـهاوى جسدها على مقربة من الحبيب القادم الذي لم تشـفع لـه الجروح التي أصيب بها من تصاعد اللمز والغمز.

للحب ثمن محفور باق في القدم.

* * *

إحساسها بالصيف يأتي مبكراً تستعد لـه بشـراء القماش الأبيض (للدشاديش) أخي الذي كان يعدها بقضـاء

الصيف كله معها ولكنه يتأخر دائماً. تدس القماش تحت سريرها لا تخرجه إلا بعد أن يتحدد وصوله، عاد هذا حيا في ذاكرتي عندما تبين لي أن أخي لم يتقيد بقوله لي من أن القبول بالواقع هو إيمان بالحياة، أحس بارتعاشة كتفه التي كشفت عن غصة وهزة بكاء مرير، قميصه الأبيض الفضفاض يتموج عن عنف حركته، عصرني تذكر حركتها المنكبة على الأرض وهي تلملم القماش، وجاءت صورة الجارة الطيبة التي عانت معي أيام المحنة، فعندما انشلّت مقدرة التصرف عندي كانت أم سالم تدس يدها تحت السرير لتخرج القماش، تطويه ثم تدسه معها في العباءة وقد حملت بيدها عدة الجسد الميت.

ينكمش تجلدي عندما أرى منتصف غرفتها خالياً منها وأفتقد يدها المتحسسة الأرض من حولها باحثة عن (دلة) قهوتها اليومية، فمنذ أن تقاصر نظر عينيها أصبحت تستعين بحركتها الدائرية الحذرة المستعينة بسمعها الذي بقي قوياً. كل ما حولها محدد مكانه فلم تعتد في حياتها أن يكون أحد معيناً لها. إن جزءاً من الصورة المطمئنة التي كنت أتزود منها مع كل صباح قد طواه الفراغ الأسود، أصبح ظهري يستند إلى هواء، لم تبرد جروحي بعد، أصبح خط النفس منفتحاً على الأحزان بعد شهور الموت التي عشت ثوانيها السوداء.

تسعة شهور مضت على الفرقعة التي توالى بعدها الهول وكان للذهول زيارة ثقيلة، وفي الخامسة صباحاً توالت الفرقعات، هي وحدها التي لم تتأخر عندها ردة الفعل، فعندما انحدرت من السطح وقد حطمت صور الطائرات الحربية الشك وجاء يقين محزن، هربت رجلاي بي إلى غرفتها فوجدت الجسد طريحاً. العينان نصف مفتوحتين في تشنج واضح، والشفتان نصفان: حي وآخر ميت. ساق تتحرك وأخرى كومة من اللحم المتثاقل، أيقنت أن الخبر المفزع قد انحدر في أذنيها، فليست هي من النوع الذي تغيب عنه مثل هذه الأصوات.

عندما حملتها إلى المستشفى كنت أقوم بعملية فيها الكثير من السخرية، فحين يقتحم الجنود الغرباء المدينة لا يبقى لامرأة عجوز مشلولة مكان، وطرح جسدها في جانب من غرفة متسعة غادرها المرضى ودخلها الجرحى، تقلبت بين الوعي والغيبوبة وبعد ساعات دوى انفجار كبير، اهتزت الجدران فانتفض الجسد المسجى، تولدت قوة فيه فانقذف فإذا هو على الأرض، تناثرت أوعية وانسكبت محاليل وتدلت أنابيب.

رحمها الله.!

* * *

شريفة الشملان

من مواليد 1948 (السعودية). أصدرت ثلاث مجموعات قصصية: منتهى الهدوء (1989)، مقاطع من حياة (1993)، وغداً يأتي (1998).

ليته لا يعلم أني أعلم

ليس من عادتي أن أتدخل في عمله، عمله عالم خاص وواسع، مليء بالأرقام والأسماء الرنانة. وأنا امرأة تركض. خلف خبر أو تحقيق، أو تحقق حلمها بنشر قصيدة لها، هذا الشعر الذي أعشقه منذ وعيت فك الحرف، وعرفت كيف يمكن أن تمتزج الكلمات لتخرج لنا سحراً اسمه الشعر.. أكره الرد على الهاتف، رغم أن الهاتف يأخذ جزءاً كبيراً من عملي، لكن لا أحب أن أسأل عنه، أو أسمع الأسماء التي تطلبه، له عالمه، ولي عالمي، لكننا نلتقي كثيراً كما تلتقي أقطاب المغناطيس، تتعانق أفكارنا في أحيان كثيرة، مع (زهرة المدائن) لفيروز.. أو (أراك عصي الدمع) لأم كلثوم..

في عالم الصحافة حيث ألهث، أستمتع أحياناً، وتشتد أعصابي أحياناً كثيرة، كانت سعاد زميلة الحرف، ولصيقة الأفكار.. معاً نخرج لحضور الاحتفالات، معاً نخطط التحقيقات.. ومعاً، نتجاذب أطراف الحديث وعندما يداهمنا الجوع نركن إلى أقرب مطعم وجبات سريعة لنسكت صراخ معدتنا..

وحدثتني سعاد عن مشكلتها، حدثت وبكت، تقطع قلبي لأجلها، لا أدري كيف ممكن أن تتحمل كل ما روته!! أعرف أن الرجال مختلفون، وأن هنالك منهم من تطيب أيامه ولياليه، ويغزل أشعة الشمس دثاراً لحبيبته، وأعرف أن هنالك من لا يرى إلا كل شيء سيء، ويقلب الحياة نكداً، لكني لم أسمع بما روته صديقتي عن زوجها، وهو مزيج بين الجن والعفاريت، مزيج من الخوف والرعب.. وإن كان يداهمني سؤال.. إذا كان بهذا السوء، فكيف يدعها تعمل بوظيفة متحركة، كثيرة العلاقات..؟ كانت ترد كل ذلك لأجل المال إنه يعصر أعصابي عصراً..".

وكان أحمد زوجي يكبر في نظري، لم يسألني كم أقبض؟ ولا ماذا أفعل بنقودي.؟ وكان يعجب بتحقيقاتي الصحفية، ويمط شفتيه ببطء أحياناً استخفافاً بأشعاري.. وأما الأخبار فيراها، ليست أخباراً..

لم أكن أتوقع أن أحمد قد يكون مهماً لسعاد.. إلا عندما فاتحتني بعد أن لمحت كثيراً، لابد أن يأخذ أحمد قضية طلاقها من زوجها وأنا لم يسبق أن تدخلت بعمل أحمد ولا توسطت لأحد معه، لكن أمام إلحاحها.. حدثته عن مشكلتها.. وأسهبت، ربما أضفت نكهات خاصة، ليقبل أحمد قضيتها.. وأحمد لم تكن الأحوال الشخصية جزءاً من اهتماماته في المحاماة.

إنه مع عالم الشركات، تصفية واندماج، ملاحقة الدائنين وما إليه من عالم التجارة والأموال.. وهو يقسم أنه لا يضيع وقته مع امرأة تأخذ قضيتها أعواماً في أدراج القضاة، ولا يحب نزاعات البنين وحضاناتهم، ولا تحرق أعصابه مشاكلهم.. لكني ألح وأستعطف.. وأشرح حتى يلين.. وتبدأ سعاد ثالثتنا بأشياء كثيرة، إيصالها للمحكمة والعودة بها، اضطرارنا لأكل لقمة ... مكالماتها الكثيرة لزوجي لأجل القضية، وتصرخ حاستي.. إن مرآة السيارة تسقط على وجه سعاد.. لكن استغفر الله فأحمد أكبر من أن تؤثر فيه امرأة ذات مشكلة عابرة.. أحمد ببراعته، يتفنن في إثبات الضرر.. ويحضر الشهود والمستندات.. أعجب لأحمد كيف استطاع أن يكسب لها قضية الطلاق وتعويضاً قدره خمسون ألف ريال، تنازلت له عنه مع أتعابه.. وكنت أرى النسوة يضيع شبابهن هدراً بحثاً عن الطلاق، نصف

أعمارهن يقضينه في المحـــاكم بــلا فــائدة، وأن تفضـــل القاضي وحكم بالطلاق، عليها أن تدفع للزوج مبلغاً، تقضي عمرها الباقي بتسديد الديون.. وأحمـــــد ينســـل القضيـــة، ويخرج سعاد مزهوة.. ذلك جعلني أطلب منـــــه أن يفكــر بقضايا الأحوال الشخصية لكنه مازال متمسكاً برأيه.

عادت أمورنا تستقر، وقلت مكالمات سعاد، قلـــــت ارتاحت.. كذا قلت أعمالنا المشتركة.. في خاطري كنــــت أتمنى ذلك منذ زمن.. أريد أن يظهر طابعي الشخصي فــي أعمالي.. وإن لم نفترق لازلنا في مكتب واحد..

لكن بدأ شيء يتحرك في داخلي.. خروج زوجـــي المفاجيء ليلاً.. لقد تعودت صمته، لكن صمته الجديد غير عادي.. وتوجست خيفة.. خاصة عندما بدأ الـــهاتف يــدق دقتين ثم يصمت.. فيغادر زوجي بعـــد ســـاعة.. وبــدأت الأمور تتعقد داخلي.. وأنـــا أستنشـــق الرائحـــة الجديـــدة والغريبـــة، حتى كان أن انقطعت ســـعاد عـــن العمـــل.. وسافر زوجي.. استعذت بالله من الشيطان.. وحـــاولت أن أطرد أفكاري وهاتف زوجي يدق ثلاث مرات يومياً، شيء لم أتعوده، لكن يريحني أحياناً ويعكـــر أحيانـــاً أخـــرى.. ترتجف أصابعي وأنا أضغط أرقام بيـــت ســـعاد.. تـــرد الخادمة بلهجة مكسرة.. مدام ما فيه، مدام مسافر..

تلف بي الدنيا، ولا تســتقر.. هل هـــي معـــه؟ أم

ترى هي بجهة وهو بأخرى..؟ يا الله.. ما أطول الوقت حتى يعود.. ويأتي.. يقبل الصغار، يحضنني لا.. لا أدري أي إحساس.. أشعر أن ذراعيه سجني.. يدخل الحمام يدندن لحنه المفضل.. أسمع صوت المياه المتساقطة على جسده.. أفتح الحقيبة.. أريد أن أنظم ملابسه كعادتي.. وتمسك يدي بشيء نسائي صغير، مشطها المذهب أثر يجهد أطرافي، أحس فتحه الباب. أخبيء ما بيدي بسرعة.. وأتصرف بآلية.. أحاول أن أضبط انفعالاتي.. فالوقت حرج، ولا أريد أن أفعل شيئاً أندم عليه.. لقد آتاني الله قوة أعصاب سيطرت على مشاعري.. اندمجت مع الأطفال وإعداد العشاء..ذهبت لعملي صباحاً.. وأخرجت أفكاري.. ورحت أقلبها على محاملها العدة.. البيت.. الزوج.. الأطفال.. عالمي الجميل والصدع الذي يشق رأس أسرتي.. بيدي أخيطه.. وبيدي أجعله يتناثر.. أشعر بحمى، يرتجف بدني.. أستخرج كل ما حوته معدتي.. أنقل بسرعة للمستشفى.. وأكتشف أنني حامل.. كيف سهى علي العد، فلم أعرف.. حول سريري الصغار وأبوهم.. أشعر باللهفة والخوف في عينيه..

سعاد لم تسأل.. لم تأت.. أعود للبيت، الهاتف يدق دقتين ويصمت.. وزوجي لا يتحرك.. ولم يعد يترك البيت إلا لعمله.. وهاتفه لم يعد همساً.. هل أتصرف أنا أم هي نزوة كانت ومضت.. ولكني كنت أريد أن أطمئن.. تحدث

زوجي عن رغبة أخيــه الأرمل، وأب الطفلتين بـــالزواج من امرأة طيبة تصون بيته وبنيته.. تحرك خبث في داخلي فقلت بكل براءة سعاد إنها امرأة طيبة...

شهق زوجي: أعوذ بالله!!

أقول له: تتعوذ بالله!! إنها امرأة طيبة ولا يعنـــي طلاقها نهايتها.

رد: "أنت الطيبة على نياتك.. رجاء دعيــها، لــها عالمها وحياتها ولا تدخليها حياتك..".

قد يكون هبط على قلبي مطر وسمي، لكنه مطـــر ملوث بكل عوادم البشـــر كنت أريد أن أصـــرخ (وأنـــت) لكن ألجمني بيتي والأطفال، أنا واحدة مـــن ملاييـــن مـــن يبتلعن الأمواس ليحمين السقف والأطفال.. أعـــرف ذلـــك وأعرف أنني أعدته تماماً كما يعود إناء كريستال مشروخ، وأعلم أن الشرخ بقلبي، أعمق وأكبر، لكن أتمنى من كـــل قلبي أن يستمر زوجي لا يعلم أنني أعـــلم وأن الأثـــر أعدمته بيدي.

* * *

عبدالحميد أحمد

من مواليد 1957 (الإمارات)، أصدر ثلاث مجموعات قصصية: السباحة في عيني خليج يتوجس (1982)، البيدار (1987)، على حافة النهار.

الورطة

لسبب واضح تماماً انتشرت في ذلك النهار صحيفة "رهنما ديكان" انتشاراً مذهلاً في القرية الجبلية النائية، ولأول مرة نفذت الكمية المحددة للبيع، حيث لم يقتصر المشترون على قراء الجريدة من الجالية الهندية، بل كان من بين المشترين مواطنون لا يعرفون القراءة، ومواطنون آخرون من الشباب يجيدون القراءة لكن بالعربية فقط، وهكذا نفدت الأعداد من الصحيفة في غضون ساعة أو أقل، ولم يكن "وليا بوريل عبدالسلام" صاحب البقالة

الصغيرة والذي يوزع الجريدة مندهشاً لنفاد هذه الأعداد بهذه السرعة ولأول مرة، فالدهشة كانت قد أصابته عندما وصلته الجريدة، ورأى على صفحاتها الأولى صورة يعرف صاحبها جيداً منشورة إلى جانب خبر كبير وبعنوان عريض، وعندئذ شلت الدهشة عقل وليا بوريل وعقدت لسانه، وتسارعت ضربات قلبه وهو يمسك بين يديه في ذهول الجريدة، لم يصدق في البداية ما تراه عيناه، لكنه سارع إلى قراءة الخبر الرئيسي، وكلما قرأ سطراً تراجعت دهشته إلى الوراء لتتقدم بدلاً منها بسمة في البداية، ثم عندما أتم قراءة الخبر تلاشت الدهشة نهائياً وغمرت وجهه بسمة أخذت تتسع ثم تحولت إلى ضحكة عالية قهقهة هزت أرجاء الدكان.

وشاع الخبر بين قراء الجريدة من الهنود والباكستانيين، ومن بينهم خدم المنازل، ثم سرى في المنطقة كلها التي انشغلت في ذلك اليوم بالحديث عن خلفان الباطر، وما فعله، والورطة التي أوقع نفسه فيها، وحتى المساء، وقبيل أن يغلق، وليا بوريل، بقالته، ظل المواطنون والبشاكير الهنود ممن أرسلهم أرباب عملهم يتوافدون طالبين الجريدة، فيخبرهم ضاحكاً:"خلاص.. جريدة ما في" ثم يتساءل في خبث: "هذا خلفان ليش في مشكل؟".

أما الخبر، فبخلاف ما أثاره من دهشة لدى النـاس، خاصة ممن يعرفون خلفان الباطر جيداً، حيـث راح كـل منهم يستعين بخادمته أو بشكاره أو مزارعه أو سائقه ليقرأ له الخبر ويترجمه. فقد أثار لدى الآخرين الذين لا يعرفون خلفان جيداً الفضول لمعرفته، وقد أدى هذا الفضول إلـى نبش ماضي الرجل، وتتبع أسراره المعلـن منـها وغـير المعلن، وكان خلفان في لحظة ما تحول إلى كائن جديـد، جديراً بكل هذا الاهتمام مثيراً للفضول والتساؤل، لا لشيء إلا لأن حياتـه كانت تمضـي فيمـا مضـى بصمـت واعتيادية متناهية، ثم جاءت صورته التي احتلت الصفحـة الأولى من صحيفة "رهنما ديكان" بلحيته البيضاء وعينيـه الغائرتين في وجهه النحيل وإلى جانبه فتاة صغيرة يبـدو على وجهها الحيرة والقلق وعيناها لا تبوحان بشيء مطلقاً، وكأنهما من زجاج بارد، جاءت الصورة، التي لم تنشـرها في يوم ما أي جريدة محلية فجاءت عبر البحار في جريـدة أجنبية وعلى الصفحة الأولى منها، لتثير كل هذه الزوابـع حول الرجل، حيث لم يقتصر الحديث عن الورطـة التـي وقع فيها بل امتد ليشمل أكثر من ذلك، إذ وجدت الألسـنة ما تلهج به لأسبوع كامل بعد ذلك اليوم الشهير الذي حقـق فيه "وليا بوريل"مبيعات مذهلة من الجريدة الأوردية.

وبدأ الناس يتناقلون في البداية الخبر، ثم ما وراء الخبر، ثم يحللون ويربطون، ويعلقون، فقد نقل ضمن ما نقل من أخبار أن جاره عبيد الفتان قال أن خلفان سافر إلى الهند قبل أسبوعين للعلاج، وتساءل عبيد: "ما الذي جعله يغير رأيه ويتزوج؟" أما "محيي الدين كوتي" بشكار عبيد الفتان فقد شرح بعد ما قرأ الخبر بتفاصيله قصة الباطر لسيده كما هي منشورة، قال كوتي: "لقد تزوج فتاة قاصراً فأودعوه السجن".

ضحك عبيد الفتان حين تخيل جاره خلفان وديع زنزانة بعد هذا العمر الطويل، أما جاره الثاني حمدان والذي لم يكتم في يوم من الأيام حسده من خلفان فقد استثارته الحكاية، ووجدها مناسبة لا مثيل لها للتنكيل بماضي الرجل، فراح يقول لكل من رآه في ذلك اليوم من أصدقائه وأصدقاء خلفان على السواء: "هذا جزاء البطر.. من سماك فقير إلى مليونير يلعب بالفلوس" وحين رد عليه عبيد الفتان: "هذا رزق من الله، لماذا تحسد الرجل يا حمدان؟" أجاب حمدان مغتاظاً: الرزق لا يجعلنا نبطر. باع أراضي وحصل على تعويضات وصار غنياً بين ليلة وضحاها،وزيادة على هذا أصبح عضواً في غرفة التجارة والصناعة وهو الذي لا يعرف فك الخط".. وأضاف متشفياً:

"هذا الغبي السماك، انظروا إليه كيف طار في الهواء، فكيف لا يبطر؟" ومضى حمدان في تزكيله بالرجل حتى النهاية: "أربع حريم.. نحن لم نستطع ذلك، كلنا فقراء، وفوق هذا يتزوج واحدة أصغر من أصغر بناته" وقال "محيي الدين كوتي" شارحاً وشاعراً في الوقت نفسه بأهميته لأول مرة: "هذا خلفان في زوجة صغيرة، 15 سنة، قانون مال هند ممنوع، هذا لازم داخل سجن".

ولم تجد وكالات الأنباء المحلية من نساء القرية خبراً تتحدث عنه ذلك اليوم إلا حكاية خلفان وورطته، وبعضها أرسل "البشاكير" إلى وليا بوريل عبدالسلام ليأتوا بالتفاصيل، وكان هذا يقول لهم: خلفان قال في التحقيق إنه لم يذهب إلى بومباي، لأنه خاف من أن يعرفه أحدهم هناك، فبومباي مليئة بالعرب، وذهب دون أن يدري أحد إلى قرية قريبه من حيدر أباد، وهناك زوجوه فتاة عمرها 15 سنة، وكان كلما وصل من وليا بوريل عبدالسلام أية إضافة تسارع وكالات الأنباء إلى بثها في الأزقة والدروب والبيوت، وأضاف عبدالسلام، إن خلفان أصر على أنه يريد زوجة صغيرة، وتحت الحاجة وإصراره الغريبين وافق أهل القرية، إما لجهلهم بالقانون أو لاطمئنانهم في عدم وصول القانون إليهم، إذ إن أهل القرية متعارفون

ولا يفشون أسرارهم لغريب! وافقوا وزفوه إلى "طفلة باد شاه" لكن أمر الزواج سرعان ما انكشف، فزج بخلفان في السجن للتحقيق معه، وتطبيق القانون عليه، وأضاف عبدالسلام موضحاً: "القانون يحرم الزواج من بنت أصغر من 16 سنة".

وأضاف زميله الذي يعمل كهربائياً: "هذه فضيحة قومية في الهند" وعلم من تفاصيل الخبر أنه على الرغم من أن خلفان وافق على أن يطلق "طفلة باد شاه" إلا أن ذلك لن يعفيه من العقوبة والجزاء، نظراً لأن مخالفة القانون قد حدثت، وكانت وكالات الأنباء كلما بثت تفصيلاً جديداً من تفاصيل ورطة خلفان تردد: "مسكين خلفان ورطوه، ما الذي سيصنعه الآن" وبعضها كان يقول: "يستاهل لم يشبع من هنا فذهب إلى بلاد الهنود أيضاً، وما لم يعلمه أحد هو ما أثاره بخيت بن عيدان حين سمع عبيد الفتان يقول إن خلفان ذهب للعلاج وليس للزواج، ولعل خطأ وقعت فيه الصحيفة، فرد بخيت رداً صريحاً: "... خلفان ما يثور.. فذهب للعلاج حقاً" وأضاف بخيت كاشفاً عن حقيقة أخرى: "إن الذي أشار على خلفان بالسفر هو سعيد ولد محمد الخاتل" قال له: يابو عجيل، ليس لك دواء من ورطتك هذه إلا امرأة صغيرة السن.

تفتح شهية قلبك، وإلا فإن ... لن يثور أبداً، وحين سئل سعيد عن صحة هذا الكلام: قال: "لقد كنت أمزح معه. ولم أعرف أنه سيأخذ بمشورتي ويفعلها" فرد عليه عبيد الفتان: "أنت لا تعرف مقدار حب خلفان للنساء".

لكن هذه الحكايات والقصص والأقاويل والضجة التي انتشرت حول خلفان الباطر لعدة ليال متتالية بعد ذلك اليوم الذي تصدرت فيه صورته الصحيفة الأوردية سرعان ما ذبلت وتوقفت تماماً، وذلك عندما داهمت الشرطة في سابع ليلة دكان وليا بوريل عبدالسلام موزع الصحيفة واقتادته صارخاً من خوفه مرتعداً غير مصدق: "ماذا فعلت..؟" فكان جوابهم "هناك شكوى ضدك من عيال خلفان الباطر، يتهمونك بترويج دعاية باطلة ضد والدهم والتشهير به".

ولم يفق وليا بوريل عبدالسلام من الإغماءة التي داهمته إلا في الزنزانة، وبينما كان ينتظر بفارغ الصبر مجيء كفيله المواطن لإخراجه من هذه الورطة التي ورطته فيها ورطلة خلفان الباطر، لم يكن يعرف تمام المعرفة هل بإمكانه الاستمرار في الضحك كما ضحك عندما رأى صورة خلفان يوم وصلته الجريدة، أم يبكي الآن وهو هنا وحيد كما لم يعرف أيضاً أن خلفان داهمه

نفس الإحساس هناك، إذ لم يستطع البكاء كما لم يستطع الضحك، وكما لم يعرف وليا بوريل عبدالسلام وهو ينتظر في زنزانته مجيء كفيله، لم يعرف خلفان الباطر أيضاً وهو ينتظر في زنزانته موعد محاكمته، إنهما كانا على وشك إحداث أزمة ... بين البلدين.

* * *

عبدالعزيز مشري

من مواليد 1954 (السعودية). أصدر العديد من الروايات وخمس مجموعات قصصية. موت على الماء (1979)، بوح السنابل (1987)، الزهور تبحث عن آنية (1987)، أحوال الديار (1993).

مطعون الدامي

التهمت البغتة المنسوجة بالدهشة والحيرة قلب "مطعون الدامي"، وأسدل عضلات يديه وقدميه، وتراخى نبض قلبه المفجوع.. وهو يقاطر خطواته، وذراعه في قبضة السجان. صاح بصوت مشحوب مستغيثاً، غير أن الأذن في مثل هذه الأماكن، لا تفرق بين الأصوات التي تألفها من كل الذين لا تثبت براءتهم إلا بعد بيان التحقيق. قالوا له من خلف العواميد الحديدية الغليظة: بعد ساعات، سيؤخذ من صُلب ظهره عينة للتحليل، وسيثبت إن كان الأمر قد وقع معها.

* * *

"مطعون الدامي" يعتمد في كسب رزقه، ورزق الزوجة بأطفالهما الثلاثة على مقدار جهده في سيارته الأجرة، يحوم ويطوف ساعات في الصباح، وساعات بعد الظهر، ومثلها في الليل، يعود بعدها بمقاضي البيت، وما يناله من حصيلة العمل.. هادئاً راضياً مطمئناً، وفرحاً بما أجزى به من جُهد العرق.

لا يتحدث على الغالب مع زبائنه، فكثير من الذين يركبون سيارته لا يحسنون الحديث بالعربية، و.. "مطعون" بمفهوم قروي، يحب سواليف النخوة والكرم، وصنوف من هذا القبيل تبهج القول في اللسان، وتهزّ الأمانة والرجولة والصدق في عروقه. فيعمد في قطْعٍ من الأحايين إلى غمز آلة التسجيل إلى جانب مقود السيارة في الواجهة، ليسمع شريطاً مسجلاً من رقصة وغناء أهل دياره.

* * *

على حافة الشارع العريض الأسود، أوقفته امرأة بلفافتها التي تشبه لون الأسفلت، وتحيط بها كامل بدنها إلا الرأس، وكانت تبدو ببطن ظهر أنه في منتصف اكتمال جنينه. ولم يكن غائباً عن التعرف دون عناء.. إلى أنها شرق آسيوية.!

قالت بلسان عربي مكسور: إنها تريد السوق؛ فوافق، وهو القائل دوماً: طلب الراكب قبل الشرط، وإن حدث خلاف في قيمة النقل.. فلن يجادل الذين لا يفهمون طويلاً، و: "الأرزاق مقسومة".

بعد ميل من الطريق، وعند توقف خفيف قريب من إشارة المرور.. صرخت الراكبة صرخة المستغيث، فاستجمعت بصوتها المستجير أنظار القريبين؛ قالت: إن هذا السائق لامسها عن قرب ...، وهي كما ترى العين النكرة.. حاملاً منذ أشهر وقد توعدها بالقتل إن هي باحت بالسر، فما قدرت على الكتمان.

* * *

صدق السامعون؛ ومن يكذب امرأة تركب بالأجرة مع سائق في وضح الشمس؟!

قليلاً.. ونزل من سيارة الأمن رجلا شرطة واقتادا "مطعون الدامي" رغم شاربيه، ومعه المرأة الصارخة إلى حيث التحقيق.

وعندما هبطت النكراء المباغتة بوجهه.. بذل القول والحلفان.. فما صدقه أحد.. واقتيد إلى الحبس!.

* * *

انتظر في عذاب الصبر والرجاء نتائج الفحص بعد ساعات؛ كانت كثقل أيام من الجوع والخوف والظمأ، وكان في غير علم بأمور الفحص الغريب: ومن يـــدري؛ لعـــل بعض الخائبات في انتظار المظلوم تصيب.

وقال في حســرة الشاكي مـــن طيــش اختـــلاط الغرباء بالمدن: إن الفجيعة وحشيّة حد الطعـــن يـــا نبيـــل القرى، ولكن ما عِلْم قوم بفعل لم يرتكبه قبل أن يحق الحقُ في التحقيق؟!

وحين رأى السجان قد تفسحت بشاشة مبشرة علـى شفتيه قائلاً: أبشر يا ابن الدامي.. إنـــك بـــريء.. فـــرح، وأحس بصخرة تقتلع من عروقه. ولما وقف أمام المحقـــق الذي أفهمه أن المرأة لم تحمل منه.. تذكر السرور الـــذي سينقله بعد تأخر لم تعهده زوجتـــه والأولاد فـــي البيـــت، فوطأ بوجهه واهباً قبلة الامتنان على كفيَّ المحقق.

نظر في عينيه قائلاً بعجب وانفراج مقتضب مـــن شدقيه:

عجبت لك يا مطعون.. إنك عقيم، ثبتت براءتك!.

* * *

تهاوى شتات الكلام المنتفض من حواف اللســـان،

وخمّس وسدّس وجمع نثـار عزيمته عائداً إلـى البيـت، وكاد يصطدم بكثير من السيارات ... في الطريق، وتجمّع لعاب بطعم الدم والملح بين فمه وبلاعمه، وسقط عن رأسه العقال، وظن أن زلزلة كالكهرباء ترجّ مفاصله، ولم يـأت على خاطره أن أهل بيته ينتظرونه على العشاء، وكـانت الأنوار الكثيرة في الطريق تخبو في ناظريـه، والأبـواب كلها يسمعها تهزأ به، والمباني العالية تمدّ ألسنة صفـراء من نوافذها وشرفاتها، وراوغ ببلاهة مفاجئة بيـن زحـام الإشارات والمراكب، وعضَّ قوياً على طـرف عمامتـه "الشماغ" ونزا قطر حارق من تحـت رمشـيه، وجـذب بأصبعين من خشب طرفي شاربيه، وتلكأ مُجهداً في القبض على مقود سيارته. وكان الهواء الذي يعاكس بعناد وجهـة طريقه السريع، قد أنفذ قواه من فتحـة صـدره، وتفسّـح برخاء في ثوبه العريض، وعابث كُمّ يديه، وتناولت جبينـه وصدغيه برودة جامدة. وكـانت حدقتـاه قـد اسـتقرتا كالزجاج الأسود في الماء الآسن.... فماذا بقي من القـول، وماذا بقي من الفعل؟!.

* * *

دخل من باب البيت كما يدخـل القـبر، وأحـس بالطين والتراب ينهال على صدره من كل نقطة في السقف

والحيطان وفرش الأرض والأثاث، ثم اختلع غطاءً وهذى كالمحموم ولم يرد على "بابا" من لسان البريء. وحين استجمع بعض الهدوء، ولعن الشيطان في خاطره مئات من اللعنات الغلاظ.. فزع إلى سيارته قاصداً المستشفى وترقّب طويلاً استجابة الطبيب لعجلته الحثيثة.

وبعد ظهور نتيجة الفحص اليقين.. قال:

يا مطعون الدامي.. أنت عقيم!. علم "مطعون الدامي" أن أقرب الناس إليه. أشدهم طعناً في الظهر فبكى و.. هرول إلى سيارته وقد تساوت في النظر كل الأشياء، ووجهها نحو طريق القرية البعيد.. البعيد.. البعيد.

* * *

قماشة عبدالله السيف

من مواليد السعودية. أصدرت مجموعتها الأولى: محادثة برية شمال شرق الوطن (1992). مجموعتها الثانية تحت الإعداد.

خطوة في الرماد

لم يكن الأمر بحاجة إلى نظرة تحمّل الأشياء أكثر مما تحتمل.. لكنٍ إلى نظرة تدرك الأشياء كما هي.. وإنه لم يكن كأي مدرّس عادي في مدرسة إعدادية يحضّر دروسه في المساء ليلقيها على تلاميذه في الصباح ثم ينام قرير العين مطمئن البال.. كان يقول: (المعلمون محاربون حقيقيون إنهم يعادلون الأطباء والعسكريين في أهمية ما يفعلون إلا أنهم لا يعادلونهم في المكانة والمميزات الأخرى).

وكثيراً ما تراءى له أن شيئاً في العالم لا يمكن أن يكون أكثر أهمية من عمله.. وكثيراً ما كانوا يرونه – أو لعلهم لا يرونه – أثناء حصص الفراغ جالساً خلف منضدة صغيرة يضع عليها قراب نظارته الأزرق بين النافذة والباب داخل ما يُدعى بغرفة المكتبة.. الاسم الذي يطلق على رفين من الكتب يصحح دفاتر الإملاء أو التعبير.. يقرأ في كتاب أو يكتب في دفتر مذكراته عن هموم عمله ومشاهداته.. هذا الدفتر الذي التقطه ذات يوم أحد زملائه من أمامه ليقرأ منه هذه السطور:

(اصحابي طيبون.. ليسوا جاهلين بمعنى الكلمة.. هم ربما يتجاهلون.. أو إنهم لا يرغبون في إزعاج أنفسهم.. لذلك تتناول أحاديثهم هوامش المواضيع الجانبية.. زملائي طيبون بشكل نسبي.. لكنهم مختلفون.. منهم المتخلق.. ومنهم الانتهازي.. ومنهم الأناني.. ومنهم الشريف ومنهم المخلص ومنهم من تصح عليه كلمة رجل.. إنهم مختلفون.. مختلفون إلى حد فظيع.. أمَّا مدير المدرسة فبالرغم من أنه يملك حصيلة وافرة وجاهزة من الحديث كالآخرين.. إلا أنه لم يكمل معي أي حديث بدأته معه غير أني كنت أجازف فأُبدي آرائي الخاصة..).

حين تنبه إلى الدفتر في يد زميله سحبه منه قائلاً:

- إنها ثرثرة خاصة..

* * *

"معرض كتاب للتلاميذ"

فكرة راودته كثيراً.. سنحت له كالخاطرة المشرقة الملحَّة إلى أن قابل مدير المدرسة وحدَّثه عنها موضحاً..

- (يحتاج التلاميذ إلى الخروج من دائـرة الكتاب المقرر إلى الكتاب غير المقرر.. إنهم لا يقرأون إلا الكتب القصصية الهزلية المصورة أو صفحات الرياضة في الصحف أو لا يقرأون أبداً.. وإن أرادوا فإنهم لا يستطيعون أن يعثروا على الكتب الجيدة.. وأنا أُرضي في أعماقي حب العطاء والمعرفة.. بلا مقابل.. سيكون مجرد معرض مدرسي صغير.. إنه اجتهاد مدرس..)

يصمت المدير كمن لا يجد الجواب ثم يقول:

- "يمكنك أن تتقدم بطلب تشرح به فكرتك.. ليتسنَّى لنا رفعه لأخذ الموافقة عليه..".

ويمضي يبحث بحثاً عن الكتب الجيدة والجميلة.. يبتاعها من جيبه الخاص ومن وقت راحته.. من أماكن متعددة دون ملل.. يسافر كل نهاية أسبوع يرتاد مكتبات

المدن.. أسابيع عديدة مرت وهو يلملم شمل الكتب الأدبية والعلمية.. يجمع أشتاتها.. ليضعها بين أيدي تلاميذه.. بعد أن حصل عن طريق مدرسته على موافقة إدارة التعليم.. لإقامة معرض صغير للكتاب داخل نطاق مدرسته.. بإصرار ومثابرة يمضي إلى غايته هادئاً جموحاً مرات كان كالحصان الذي يركض على الأرض بقدم واحدة.

***

في إحدى الحصص المتأخرة دلف الفصل.. ألقى عليهم التحية فأخرجوا الكراريس والأقلام.. كتب لهم بعض السطور على السبورة.. كعادته في حصة التعبير.. أخذ في المناقشة والحوار معهم.. ثم تركهم يكتبون ويشطبون.. إلى أن ترددت ذبذبات الجرس الكهربائي.. قبل أن يخرج تلقى محاولات بعضهم في كتابة الشعر والقصة.. ثم تأبَّط دفاتره لتلفظه بوابة المدرسة.. أمَّا هم فتبتلعهم الطرقات والشوارع ومن ثم البيوت.. في حين كانت الأفكار تنخره وهو يدير محرك السيارة.. يفكر في حلمه الذي استيقظ منزعجاً ليلة البارحة منه.. عندما رأى في نومه أن غرفة مكتبه في المنزل قد امتلأت

بطيور ميتة.. واختلط حلمه بصور مشوشة.. استيقظ وقد اشمأز وتقزز من المرأى.. جثث طيور..! مبعثرة على مكتبه وبقية أرجاء الغرفة!..

عندما دخل غرفة مكتبه خيل إليه أن روائح طيور ميتة حقيقية.. نفّاذة منذرة تفوح منها.

* * *

يمر اليوم ثقيلاً.. يدخل مكتب المدير بعد أن أرسل في طلبه..

يرفع رأسه يحييه.. ثم يقول بحذر:

- لا تستطيع أن تقيم المعرض.. اعذرني..

فبادره بالسؤال:

- ولكن.. لماذا؟!

- نحن هنا ليس لدينا وقت لغير إعطاء الحصص.

- إنه.. لن يستغرق إلا أياماً معدودة وسيكون في المساء...

- أيضاً.. يتعذر ذلك.

- هل ظننت أني سأتقاضى عليه أجراً..؟.

- لا..ولكني عدلت عن رأيي.

- هل استجد شيء.

- أيضاً لا..

- لماذا لم تبلغني بتراجعك مبكراً؟ لقد أنهيت كل الترتيبات الخاصة به.. وماذا أقول لتلاميذي وقد وعدتهم به.. إنهم ينتظرونه..!

- لا تكترث بالتلاميذ. إنك في الوقت الذي تجادلني فيه وتسأل عن كل شيء تعامل تلاميذك مثل الكبار.. أو كأنهم أصدقاء لك..

قال هذا مغتاظاً حانقاً بلا مبرر.. وأضاف:

- مادمت مصراً على هذا المعرض.. يمكنك أن تنتقل إلى مدرسة أخرى.. لتحقق لنفسك ولتلاميذك مثل هذا الحلم..

- أرجو أن لا تحمل الأشياء أكثر مما تحتمل..

قال هذا وشعور بالضيق والمهانة ينبعث من داخله بغتة.. فخرج مهيض الجناح يجر صمته.. والاحتمالات تتضارب في ذهنه والأسئلة تقلقه: "ترى هل استمع إلى من أفسد تصوره"؟ "ما الذي دفعه للتراجع"؟ ولماذا؟

"ماذا أفعل الآن..؟ هل أُذعن..؟ أم استسلم؟ أم.. ماذا أقول لتلاميذي.."؟.

أحد زملائه تعاطف فربت على كتفه.. لكنه كان ممتلئاً بشعور حاد وخارق بأن عطاءه مرفوض وأن حلمه بإشراقة ضياء قد تلاشى كسحاب صيفي.. وأن جهده أُجهض كله.. دون أن يفهم لماذا..

الوقت نهاية الدوام وبوابة المدرسة تلفظه والأفكار تنخره: عشر سنوات أحرقتها كالسجائر في التدريس. (عشر سنوات من المعاناة.. والإجحاف وسوء الفهم.. عشر سنوات من التعب بين الجدران والسبورة.. والنتيجة..!.

منحت الكثير لأنير عقولهم.. وخسرت الكثير لأعبر حاجز الظلام.. وحين خطوت كانت الأرض منفضة تطاير منها الرماد..).

وأرسل نظرة بعيدة متسائلاً: (ترى ما الفرق بين أن أكون مدرساً هنا أو بائع حلويات متنقل في مدينة بعيدة..) ورسم له خياله صوراً من الحياة المزدهرة بعيداً عن هذا المكان..

* * *

في المساء قالت له زوجته:

- ها قد ضاع جهدك هباءً.

وراحت تتابع مسلسلاً هزيلاً يقدمـــه التلفزيـــون.. تمنى أن يغيب في سكونِ المساء أن تهدأ أعصابه.. حـدّق في فضاء الغرفة كما لو أنه يبحث عن شيء تبـــدد فـــي الهواء.. لكن زوجته تلتفت لتذكره بنصحها:

- كم مرة نصحتك بأن تكون على علاقة أقـــوى به..

- هل كنت جادة.....؟ كيف..؟.

- كالآخرين..

يدرك أن حواره معها لم يزل وحيد الجانب.. وأن العمر لا يتسع لمزيد مـــن الحـــوارات الخاســـرة.. يـــهمُّ بالخروج.. وريح عاتية تهب تبعثر الكتـــب فـــي الغرفـــة المجاورة والممرّ.. تداعبها.. تتصفحها..

ريح تقتلع أعتى الجذور..

* * *

في طرقات المدينة يسير وحيداً.. يوقف ســـيارته ويطرق الباب داعياً صديقه الوحيد لمرافقتـــه.. وكـــانت

سحابة بيضاء مستديرة تركض في السماء وهي تتمــزّق.. والصمت الذي تلبّسه عشر سنوات والصبر والخدر الــذي امتدّ به..

ها هو يتفجّر منبئاً عن خيبات كبيرة فــي العمــل والعاطفة والزمالة.. وإذا كانت لحظات الانفجار هـــذه لا تأتي في العمر إلا نادراً.. فها هي تـــأتي دون إنـــذار أو تخطيط.. في أحد مطاعم المدينة ينادي النادل ويطلب شاياً جديداً.. وسؤال صديقه يتناثر بإلحاح بالغ:

-لكن.. لماذا..؟!.

- لا أعلم.. حدث لي ما يشبه الصفعة.. عجبـــت لذلك وحاولت أن أفسِّر الأمر..لا أفهم ما معنى أن يضـــع الحبل في يدي.. كنت لا أدري كيف سأنظر فـــي وجــوه طلابي من جديد.. (كان خجلي منهم قاسياً). أنا متعـــب.. منهك.. عندما لا أجد أحداً أتحدث إليه أسطر هذياني فـــي دفتر.. أو أبحث عنك أنت يا صديق العمـــر.. وغالبـــاً لا أعثر على أثر لك.. عايشت أنت من قبل ما كنت أنا فيـــه من الهوان والقلق.. وها أنا أبدو لك اليوم أســوأ حـــالا.. فما الذي تنتظره مني بعد..؟!

كان صديقه ينظر إليه بانتبـــاه صامتـا مصغيـــا

ودوداً.. دون أن يحر جواباً، دون أن يتفوّه بكلمة معقولة.. يصمت هو بعد أن قال هذا.. أصوات تلاميذه تقترب..تتراخى.. طنينها في أذنه: "أستاذ.. أستاذ" وكلمات المدير.. طنينها المؤذي في أذنه: "مادمت مصراً.. يمكنك أن تنتقل إلى مدرسة.. أخرى..." كلماته مثل شكة الإبرة التي فجرت احتقان وتورمٍ عشر سنوات..

جليسه هذا هو صديقه الوحيد في المدينة لذا قال له بعفوية غير مألوفة:

– أعرفت الآن كيف يغتال الفرح.. ولماذا الوطن حزين.. ولماذا الطيور تشرع أجنحتها راحلة وكيف يتم التخلي عن كل الأحلام..؟ لم يكن ذلك هو السهم الأول ولن يكون الأخير لذلك سأكون كمن يقامر بكل ما يملك..

– كيف...؟

قال وهو يحدق في الزجاج اللامع:

– سأبيع المنزل والسيارة.. وأحمل حقيبتي وأرحل دون إثارة أحزان أو مشاكل سأهجر المدينة وأجرب حظي في وسط آخر..

– وزوجتك؟.

– كثيراً ما صارحتني بحقيقة أفكارها تجاهي..

عندما تقول لي: "كان فضل أمي عليك كبيراً أنسيت مساعداتها المالية لك في بداية حياتنا..".

وهكذا كل التهم تنسحب على حياتي لتسمها.. قل لي أين هي رقة قلب المرأة وعطفها؟ ولماذا كانت دوماً تختلق الأعذار للفرار إلى بيت أمها فإن لها اليوم أن تفعل ذلك.!.

وتابع:

– ما أريده منك.. ثمة زميل أقعده حادث سيارة عن العمل أنا أعتني بمعيشته وأحمل له ما يحتاجه أسبوعياً.. أرجو أن تهتم به بعدي من خلال ما أبعثه لك مع ما يمكن أن تجود به أنت لأنه لا يمكن أن يمد يده للآخرين ودفع إليه بورقة قائلاً: هذا عنوان منزله.. وهذا طلبي كله..!

ظل صديقه صامتاً.. وعندما فتح باب السيارة قال وهو يترجل: لكن.. تلاميذك.. بحاجة ماسة إليك.. وتركه يمضي ليشق لنفسه طريقاً في عتمة الليل المتأخر..

* * *

همـــــدان
دمـــــاج

اليمن، نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات.

الكابوس

لم يكن قد أدرك بعد، أثناء عودته من العمـــل، أن لحظات تفكيره العميقة بدأت تضعف تركيزه عند قطعــــه للشارع المزدحم. فمنذ أن اســـتيقظ مرتجفاً تلـــك الليلـــة غارقاً في بحيرة عرقه البارد أصبح أكثر قلقـــاً ووحشـــة وباءت محاولات الجميع لطمأنته بالفشل.

كما بدأت علاقته بالأشياء تضمحل رويداً رويـداً.. لم يكن كابوساً عادياً كتلك التي اعتادها منذ أسابيع بل لـــم يكن كابوساً على الإطلاق.. كان حقيقة شـــاهد تفاصيلـــها

بدقة أكثر من متابعته لتفاصيل هذا اليوم الضبابي الكئيب.. وعندما حاول أن يشعل نور غرفته المظلمة في الطابق العلوي أدرك أن مفاصله المرتعشة لم تعد قادرة في تلك اللحظات على حمله وأصيب بالهلع عندما شعر أنه لم يعد قادراً حتى على البكاء.

* * *

أحكم إغلاق معطفه بعشوائية وفتح الباب الزجاجي بعنف دون أن يكترث للزبائن الذين كانوا يقرأون قائمة الأسعار بجوار الباب والذين نظروا إليه شزراً لكنه كان قد قطع مسافة كبيرة وتوارى عند أول منعطف.. نعم لم يكن كابوساً.. فرائحة إطارات الشاحنة لاتزال عالقة في رئتيه والصور المتكسرة للغيوم الرمادية لاتزال ملتصقة بجدار قزحيته التي أصابها الذبول مثل جسده الناحل يوماً بعد يوم.

* * *

- "لكنه لم يكن حلماً".. كان يردد دائماً بإصرار كلما حاولوا تهدئته.

كعادتها لا ترتسم الألوان في الحلم وتختلط دائماً الأماكن والصور.. "كنت غارقاً في التفكير في شيء ما،

شيء لم أعد أتذكره، عندما قطعت الشارع السريع عائداً من العمل في ظهيرة يوم غائم".. ولم يتبادر إلى سمعه صوت إطارات الشاحنة إلا بعد فوات الأوان. حتى تلك الأصوات التي ارتفعت من الرصيف المقابل قبيل ذلك كانت بلا معنى ولم تستطع ارتجافة عضلات ساقيه أن توقف تسارع الأحداث فالتصق جسده الضئيل بمقدمة الشاحنة ثم ارتمى متناثراً تحت عجلاتها الضخمة التي رسمت على طول الشارع خطوطاً سوداء ذات رائحة كربونية خانقة.." كانت الغيوم القطنية الداكنة تتحرك أمام عيني بتلقائية وبدأت رؤوس كثيرة تظهر ثم تختفي ترتسم على ملامحها الخوف والفزع ومن الأعلى بدا المنظر واضحاً ففي منتصف الشارع كان الناس يتقاطرون كنمل حائر حول صرصار ضخم انقلب على ظهره..".

عندما استيقظ مرعوباً كان شيئاً ما قد فقد بداخله.. شيئاً اكتسب لغيابه حسماً فيزيائياً فشعر بجسده خفيفاً مجوفاً. كانت الغرفة مظلمة وتمتلىء برائحة كربون محترق.

* * *

منذ تلك اللحظات العصيبة والـــهاجس لا يفارقـــه أبداً.. فبالغ بالحذر عند قطعه الشارع وبـــاتت أي حركـــة عادية تبدو له بداية للنهاية الوشيكة. كان الجميع قد لاحــظ الضمور الذي أصابه.. حتى انه استطاع بعـــد فـــترة أن يلاحظ التغيير الذي طرأ على تصرفاته في الآونة الأخيرة فقد لاحظ أنه لم يعد يمارس هوايته المفضلة بعد خطواتـــه على الأرصفة وأنه بدأ "يقضي حاجته" أكثر من المعتـــاد وأن يضطر لخلع جميع ملابسه..!

- "كان يوماً ضبابياً كـــهذا".. أنهكـــه الـــهاجس طويلاً.

كان قد قرر أن يطرد من مخيلته تلـــك الصـــور المتتابعة. أن يستريح من الوهم، خاصة وأنـــهم بـــالأمس كانوا قد أنذروه بالطرد بعد أن نســـي الفـــرن الرئيســـي مشتعلاً في إحدى دورياته الليلية، لكن دون جدوى تنـــهد بأسى وهو يرنو إلى الغيوم الداكنة التي كـــانت تتحـــرك بسرعة. كان ذهنه مشـــتتاً كالعـــادة وواصلـــت قدمـــاه المســـير بخفة تذرعان الرصيف.. كانت أصوات متفرقـــة قد ارتفعت من الرصيف المقابل لـــم يميزهـــا.. وتـــدارك لسمعه وقع شيء مهول يتحرك فارتعشت عضلات ســـاقيه وبسرعة تكسرت صور لغيوم قطنية في عينيـــه قبـــل أن

تتدارك في ذهنه الأحداث وتزعج أنفه المهشـــمة رائحـــة كربون خانق.

* * *

تركي الناصر السديري

من مواليد 1960 السعودية. صدرت له مجموعتان قصصيتان: حادي بادي (1991)، ناقة العوني (1994).

ثلاث قصص

حقيقة

طلب مدرس الرسم من تلاميذه الصغار، أن يرسموا الحيوان الذي يحبونه.

محمد.. رسم زرافة، برقبتها الطويلة، جعلها تمد رأسها ناحية نخلة الشارع المهمة.

سعيد، رسم مجموعة من الخيول، تعمد أن

يجعل بينها "فيلاً صغيراً"، لوّنه بالأحمر، وفي أفق الصورة بنى مسجداً ذا مئذنة ينطلق منها آذان جاره المصري.

خالد، قفز في ورقة الرسم أسداً يطارد مجموعة من الأرانب البنفسجية.

قال المدرس لزوجته، وقد تأمل رسومات تلاميذه:

- ".. لا توجد حيوانات الصغار في البيئة التي تحوي مدرستهم!".

وهي تتابع شاشة التلفاز، علقت زوجته قائلة:

- "يعرفونها من هذا...".

* * *

في صباح اليوم التالي، طلب مدير المدرسة من المدرس أن يساعد ابنه الصغير على إتمام رسومه لحيواناته المفضلة، الضفدع بولي، والسنجاب روبيز، والدب دبدوب.

وهو يتناول طعام الغداء مع زوجته ظهراً، أخبرها أنه قد عرف لماذا الصغار لا يعرفون ما حولهم، ولا يعرفون ما لا حولهم.

الظل

يقول الطفل لظله:

... الجبل، كبير". وتسقط طاقيـــة" رأســـي حيـــن ألاحق علوه، فأخاف صعوده. يهددني أبي مـــن ارتقائـــه: "ساقاك ناحلتان؟. لا تقويـــان علـــى صعــود صخـــوره الملساء.. ستهوي إن فعلت، فتقصم رقبتك، ككلب جارنـــا مساء البارحة.".

خافت أمي. فألبستني طاقية رأسي. هددتنـــي: "إن فقدتها... رميتك للذئاب، ككلب جارنا البارحة.".

فعلت صعود الجبل وأنا نائم، رأتني أمـــي، ولـــم ترمني ككلب.. بكت وحرصت صباحاً أن تلبسني طاقيـــة قطنية جديدة.

* * *

لم يسمع الطفل ما قاله ظله. لكنه عرف أنه كـــبر عن أمس. فطاقيته لم تسقط على قفـــاه كالعـــادة، عندمـــا يلاحق امتداد بصره علو الجبل.

في أقرب مساء، خبأ في طاقيته ســـؤالاً، توســـده نائماً، قال لنفسه في الحلم: "الجبل لا يكبر.. وأنا أكـــبر..

مثلي مثل نخلة دارنا، التي تسقط طاقيتي من رأسي كلما لاحقت.. علوها".

ضحك في حلمه، وقال لظله: "أنت تخاف، الظلام، لذا تختبىء في الجبل.. آه جبل قريتنا لا ظل له!".

سأل أباه صباحاً: "أين الظل؟".

لم يجبه أبوه، الذي أكثر من حك رأسه. فعل سكان القرية حك رؤوسهم، يبحثون عن ظل الجبل.. "كيف لم يفطنوا لذلك".. "طفل يفطنهم!"، ظلوا يقرضون أسئلتهم كل ليلهم.

* * *

ألبستني أمي شوالاً أحمر، ووجهت قامتي للقبلة، حتى بات الجبل خلفي. تطلب أن أدعو الله: "أن يعيد أبي سالماً"، وأن أردد دعاء أمي، فهمت أن القرية قد اختارت أبي كي يبحث عن ظل الجبل.. هناك من فوق قمته.. ربما يكون مختفياً وراءه.. في الناحية الأخرى..

قلت لأمي حين لم يعد أبي: "أتكون كلاب الجهة الأخرى قد أكلته؟".

لم تجب أمي، المحاطة بنساء قريتنا اللابسات ملابس سوداء.. تشبه الظل.

الأشجار

إذا ما ولد الهلال في السماء، تُغالب الأشجار نومها، كي تسمع بوح الشجرة العجوز.

في الليلة التي كبر فيها القمر أكبر ما يستطيع، حدّثت الشجرة العجوز منْ حولها من الأشجار، حرصت أن ترفع صوتها:

- نحن مخلوقات خير، لا نؤذي أحداً، لا نمارس السطو والاغتصاب نعطي غيرنا، نفيدهم ظلاً، وثمراً، وجمالاً..

يرد الشجر الذي سمع ما تقوله الشجرة العجوز: ".. لكنهم، يحتطبوننا..".

تخاف الشجيرات الصغيرات.. تغفو على حكايا الشجرة العجوز، وأنفاس الشجر الخائف.

* * *

تنفض "الشجرة العجوز أغصانها برشاقة تعمدتها، لتصرخ في الخائفين، وقلقها يحيط بصغار الشجر:

- لا ترعبوهم.. دعوهم ينامون، ويكبرون،

ويتفاعلون. هذا قدرنا. يكفينا أن كل المخلوقات تحبنا، نعطيها ولا نأخذ منها..

تختلط في المكان حالة فرح، تفوح روائح النباتات الخضراء، تُشكل رغبة أداء رقصة كل شهر، تحت القمر على مزيد من الضوء.

* * *

عندما يحتجب القمر في الليل، تخاف الشجيرات الصغيرات، تحتمي بالأشجار الكبيرة، لا يُذهب وحشتها إلا مجيء الشمس التي تحبها كل الأشجار - هكذا دائماً تؤكد الشجرة العجوز.

في صباح آخر يوم، فرحت فيه الشجرة العجوز. جاء الحطاب حاملاً فأسه القوية، يقطع الشجيرات الصغيرات، واحدة، واحدة.

منذ ذلك اليوم، ظلت الشجرة العجوز تخشى مجيء الشمس. تستعجل مجيء الظلام، يخفي عنها بقايا مخلوقات جُزّت جذوعها للأبد...، وليخفيها عن فأس الحطاب القوي، الذي يحوم في أرض أصبحت جرداء.

* * *

سليمـــان
المعمــــري

من مواليد سلطنة عمـــان. نشـر
قصصه في العديد من المجلات.

الكلب الأبيض

استيقظتُ فاستيقظ إرث من العُقَد، وركـــام مــن الخيبات.. كنت مازال على السرير حين لطمتني الأيـــام المعلّقة على الحائط.. السابع والعشرون من نيسان.. بـــمَ يذكرني هذا اليوم الذي يستعد لتدشين نفسه ضمن قائمـــة الأيام التي تحفر قبري؟!.. إنه يوم مهم بلا ريب هذا الـذي يحاول اصطيادي قبل أن أصطاده.. أنا لا أرســم دائــرة حمراء على ورقة الروزنامة إلا إذا كان اليوم مــهماً.. أي يومٍ هو؟!.. قطعاً ليس يوم ميلادي فأنا لــم أولــد بعــد..

وحتى وإن كنتُ ولدتُ – من وجهة النظر الإكلينيكية – فإني أزعم أن الأهمية لا يمكن أن تتطرّق إلى يومٍ قذفتُ إلى هذا العالم كما يقذف المزكوم رذاذ عطسته في منديل قذر.. أي يومٍ هو إذن؟!..

البارحة، حين ألقيتُني على السرير مهيّئاً جسدي لموتته الصغرى لأُبعد عنه مؤقتاً شبح التفكير في الكبرى، لم تكن الأيام تعني لي شيئاً ولا الدقائق ولا الثواني.. وحده الكلب الذي صدمته بسيارتي كان متربعاً على عرش المخيّلة.. يغازل بنات أفكاري ويشاكس صبيانها.. ليس لأنه مات.. بل لأن لونه أبيض.. أكثر طراوة من وجنة الشمس.. كنتُ في طريقي لشراء سرير جديد نكاية بسريري الحالي الذي سئمتُ تذكيره المتواصل لي بفشلي في الوفاء بالوعد الذي قطعتُه له منذ ردح من الزمن: أن أهديه امرأة تتدرّب بين يديها الريح وتفقد الغيوم تيجانها.. ساءت علاقتنا في الآونة الأخيرة.. بات يغمز ويلمز ويسخر مني كلما سنحت له الفرصة.. ونسرين – آخر من منّيته بها – هي السبب.. كان يعوّل عليها كثيراً.. وأنا غاليتُ في التغنّي بمفاتنها أمامه.. قلت له إنها شمعة تضيء ليل التائهين.. وإنها قطعة من القمر سقطتْ منه سهواً أثناء تنزّهه على الأرض في إحدى

المرات.. وأن البحر يستجدي زرقته مـــن عينيـــها.. وإن الأحلام تتسج حقيقتها من شـــفتيها.. وإنـــها المـــاء، ...، والمساء، والأسماء.. ثم قلتُ لـــه إن نســـرين ضـــاعت.. تبخرتْ في الهواء كأي حلم بريء.. وكنتُ قـــد أعـــددتُ العدة لامتصاص غضبه.. وهيّأتُني لتقبّل أية إهانـــة إلا أن يقول لي: "هكذا أنت أيها الأحمق.. ستظل إما أخاً وفياً ... أو صديقاً حميماً..".. ثرتُ وغضبتُ.. وأقسمتُ بالذي هو خالق... ألا أبيت ليلتي إلا في سرير جديد.. لكنه لم يعبـــأ بقسمي.. بل تمادى في استفزازاته لي قائلا: "إن كنـــت لا تعرف كيف تحافظ على من تحـــب فأنـــا لســـت مثلـــك، وأعرف جيداً كيف أُحكم قبضتي عليـــك.. سأستخدم كـــل ما أوتيت من... لأمنعك"

خرجتُ غضبان أسفاً، وخرجت معي كل شـــياطين الجن والإنس التي اســـتوطنت رأســـي لحظتـــها.. قـــدتُ سيارتي بسرعة انتشار الشائعة حين تتبنّاها امرأة.. وفـــي الطريق تذكرتُ نسرين التي كانت على بعد خطوتين مـــن السرير عندما سرقها مني عنترة بـــن شـــداد العبســـي.. مغرمة هي بفروسيته وشـــهامته.. حفظت أشـــعاره كلـــها عن ظهر قلب.. ولعلها ظنت أنها هي المقصودة بقوله:

فوددتُ تقبيل السيوف لأنها　　لمعت كبارق ثغرك المبتسّم

وهذا ما حدا بقريحتها إلى التفتّق عن قصيدة جميلة، أو هكذا خُيّل إليّ من العنوان الذي اختارته لها: "اللحظة الأخيرة".

قلت لها: أسمعينيها..

قالت: لا.. لحظتي الأخيرة لعنترة.. لن يسمعها ولن يعيشها إلاه..

وهنا رأيت أن اللحظة المناسبة قد حانت لإيقاظها من أوهامها بإخبارها أن عنترة رجل ليس لهذا الزمان، مثله في ذلك مثل صديقي نقي السريرة جابر سعود.. وياليتني ما فعلت.. فقد قررتْ مغادرة زمني والسفر إلى زمنه الغَابر الموغل في الغربة والبعد.. سافرتْ وتركتني وحيداً لحزني وحيرتي ولسخرية السرير وإهاناته.. كنت شأشتمها لو لا الكلب الأبيض الذي عَرَض لي فجأةً كفجأة الموت.. لم تكن ثمة فرصة لتفاديه.. سمعتُ فرقعة عظامه.. ترجلتُ من السيارة لأراه سابحاً في بركة من الدماء ودمعتين بللتا وجنتيه.. أرعبني منظر أسنانه المصطكة كأنها الوعيد، مثلما أرعبني بدرجة أقل تذكّري أنني كنت أقود سيارتي بلا رخصة.. قفلتُ راجعاً إلى حيث أتيت لأصطدم بقهقهات السرير الساخرة: "ألم أقل لك إنني سأمنعك؟!".. تذرعتُ بالصمت لأفوّت عليه نشوة

انتصاره.. تعاطيت حبتي المنومة اليومية وعمتُ في عسل النوم..

وها أنا أستيقظ لأُفاجأ بأن اليوم هو السابع والعشرون من نيسان.. بمَ يذكرني هذا اليوم يا تُرى؟!..

نهضتُ من السرير..

واجهتُ الروزنامة..

وقرأت ما هو مكتوب بخط صغير داخل الدائرة الحمراء: "موعد مع فتاة تُتقن تعليم الحركة" جيداً.. ما فقدتُ كل ما فقدته إلا لأنني لم أُولِ هذا الأمر كفايته من الإهتمام.

- هاه.. هل نبدأ الدرس الأول؟! "قالت".

- نبدأ "قلتُ".

- ولكنك تبدو حزيناً.

- وأنت تبدين سعيدة.. قطبان متنافران.. والأقطار المتنافرة تتجاذب كما تقول الفيزياء.

لم تكن سعيدة تماماً.. ثمة حزن يغلّف عينيها العسليتين.. منذلك النوع من الحزن الذي يصيب عادة من أراد أن يقول شيئاً فلم يقلْه، ثم قال شيئاً لم يُرد قوله،

أو أراد قول شيء فسبقه أحدهم إلى قوله.. وجهها الـــذي يشفّ عن جمال لا بأس به.. ربمـــا كـــانت أجمـــل مـــن نسرين.. لكنها ليست متوهجة مثلها.. آهٍ منك أيها الوهج.. ما سرّ هذا الطاغية الذي ترزح الكائناتً تحت وطأتـــه؟!.. لماذا يظل المرء أسيراً لسادية الوهج؟!.. وهج الشـــمس.. وهج البحر.. وهج المرأة.. وحتى الحركة لـــها وهجـــها الخاص.

نهضتْ والرقص بعينيها..

نهضتْ والخوف برجليَّ..

أيقظتُ تشايكوفسكي فغرقت الغرفة في بحيرة مـن البجع.

* * *

– هاو.. هاو.. هاو

أعرف أنه ليس نباحاً حقيقياً.. لكنني رأيتُ هـــذه المرأة من قبل.. نعم.. هذه المرأة التي تضع يدهـــا علـــى كتفي الآن أعرفها.. رأيتها.. أو سمعتها.. أو ربما قـــرأتُ عنها.. سأبدد سحب شكي هذه بسماع حديثها:

– لم تخبريني عن اسمك

- ليس كثيراً.. أنا مثلاً أعيش حالياً بلا اسم

- فلِمَ تسأل عن اسمي إذن؟!

- لأنه يخيّل إليّ أنني رأيتك من قبل

- لا أعتقد أنك رأيتني قبل اليوم

- ولماذا لا تعتقدين؟!

- لأنني عبلة

- عبلة منْ؟!

- عبلة بنت مالك

- حبيبة عنترة؟!

- التي كانت حبيبة عنترة

- والآن؟!

* * *

- الآن ظهرتُ له حبيبة أخرى.. اسمها نسرين

- وأنت؟!!

- أنا تحولت من عبلة إلى "عُلبة" تتدحـــرج هنـــا وهناك وتسلّي وقتها بتعليم الاهتزاز.

يا الله.. إذن فهي مجروحة مثلي.. سُرق منها عنترة مثلما سُرقتْ مني نسرين.. تُرى أي زمن تعيش الآن؟!.. زمن عنترة أم زمن نسرين؟!

هاو.. هاو.. هاو

ولكن ماذا لو كان حقيقياً؟!.. يا إلهي.. كيف لم أضع هذا الفرض من قبل؟!.. ربما كانت قبيلة الكلب الأبيض جاءت لتثأر مني.. أو لتطالبني بالدية.. أو ربما جاءت لتُبدي حداداً على روحه.. ماذا سأفعل الآن؟!

- ما بالك وكأن سمكة تُشوى على ظهرك؟

"قالت وقد لاحظتْ غياب حضوري عنها"

لا شيء..لا شيء.. انتظريني ريثما أفتح النافذة، رُبَّ هواء مشبّع بالدفء يدخل فتحتُ النافذة.. قذفتُ بعينيَّ إلى الخارج حيث مصدر الصوت.. يارب السموات.. كان نباحاً حقيقياً إذن.. ماذا بوسعي أن أفعل الآن سوى أن أهرول مذعوراً إلى حضن عبلة:

- ماذا بك؟!.. لماذا ترتجف؟!

- إنه هو.. يريد أن يقتلني كما قتلته

-من هو؟!

- الكلب الأبيض

- هدىء من روعك.. لا تخش شيئاً.. سأقنعه بالإبتعاد من هنا فوراً.. أنا لي خبرة في التعامل مع الكلاب.. لا تخف.. سأبعده من هنا وأعود.. انتظرني.

خرجت عبلة فيما تسمّرت أنا أمام النافذة أرقب المشهد.. عبلة تمشي والكلب يتبعها.. تمشي ويتبعها.. يتبعها وتمشي.. يبتعدان شيئاً فشيئاً.. يمسيان بحجم علبة كبريت.. يختفيان تماماً..

عدتُ إلى مقعدي في المائدة.. مرّت ساعة ولم تعد عبلة.. مرت ساعة أخرى.. وثالثة.. وحين تسلل خيط الشمس الذهبي من النافذة المفتوحة أيقنتُ أن عبلة لن تعود.. قمت كالمخبول أوزع نظراتي في أنحاء الغرفة علّني أجد شيئاً نسيَته وأستطيع أن أستدل منه على عنوانها.. حقيبة يد مثلاً.. أو حافظة نقود.. وعندما وقعت عيني خطأً على السرير نكّستها على الفور.

* * *

عبدالعزيز صالح الصقعبي

من مواليد 1958. كتب الرواية والمسرحية. أصدر خمس مجموعات قصصية منها: لا ليلك ليلى ولا أنت أنا (1983)، الحكواتي يفقد صوته (1990)، فراغات (1992)، أنت النار وأنا الفراشة (1999).

أنتَ.. حكاية قديمة

(1)

اسمك يمتاز ببريق خاص، تخاف عليه، تضعه فوق صدرك قلادة تفخر بها دائماً، لم تكن الوحيد الذي يمتلك اسماً ولن تكون، ولم يكن اسمك طوفاناً يجتاح الذاكرة ولن يكون، كنت أنت فقط حالة خاصة لرجل.

(2)

حملتَ أوراقاً وبدأت تخطو بتثاقل متجهاً إلى ممر يؤدي إلى قاعة واسعة مكتظة بالمكاتب، رائحة العفن

تحدد ملامح ذلك المكان، يحتويك مقعد متآكل، تضع الأوراق أمامك، تشرع صوتك بالنداء تتجمع أمام مكتبك كتل من البشر، تصرخ بهم، وتقذف بالأوراق، مروحة السقف القديمة تشاركك في نبش الأوراق وتوزيعها بصورة عشوائية في أماكن مختلفة داخل القاعة، الكتل البشرية تبحث عن أوراقها، يتمزق أغلبها، تتحول المكاتب، المقاعد إلى ركام حديدي، تبحث عن جسدك، تجده قد قذف به داخل سلة مهملات وقد اكتسى بالعفن، بهدوء تغادر القاعة مثقلاً بهموم الجسد النازف بعد أن تحمل معك بقية الأوراق.

(3)

– هل لديك أقوال أخرى؟

لم تفتر شفتاه عن جزء من حرف، بينما شرع الآخر في تعبئة صفحات المحضر بكلمات يصعب أن يتفوه بها، كان اسمه يتكرر في كل سطر، شعر بالخوف، أراد أن يسأل لماذا هو بالذات، وجد أنه جزء من لعبة يديرها رئيسه المباشر، للتحقيق في أخطاء غالباً يكون هو المسؤول الأول عنها، ابتسم في وقت انتهى كاتب المحضر من كتابة السطر الأخير مع كتابة اسمه بخط عريض ومنمق.

– ابصم.

- دعني هذه المرة أكتب اسمي وأوقع فقد كدت أنسى كيف أوقع.

- ابصم.

- لقد تآكلت بصمات أصابع يدي من كثرة استخدامها.

- أصابع قدميك مازالت طرية!.

(4)

لم تكن وحيداً في ذلك المقهى، كنت تضحك، تشرب شاياً، تحرق نفسك بلفائف التبغ، تستمع إلى المذياع، وهو يجتر أخباراً، أغنيات، إعلانات عن مستحضرات تجميل، ملابس داخلية، معلبات، زيوت نباتية وحيوانية.

لم تكن وحيداً في ذلك المقهى، كنت تحتل ركناً قصياً، احضرت معك صحيفة يومية وبدأت تقلب صفحاتها، تأكدت من أن التاريخ مطابق لذلك الرقم داخل المربع الصغير في ساعتك اليابانية المورد، قرأت أخباراً سياسية في الصفحات الأولى، وأغراك هزيمة فريقك لأن تقرأ جميع التحليلات في الصفحات الرياضية أملاً في أن تجد سبباً مقنعاً لتلك الهزيمة، لم تجد اسماً لذلك الفريق، ولا تحليلاً لتلك المباراة، كان الجميع يتحدث عن عالم آخر لا مكان لك

فيه. بحثت في تلك الصحيفة عن رأي تتفق معه، وجـــدت أنها طبعت بلغة لا تتقنها إطلاقاً.

لم تكن وحيداً في ذلك المقهى، تناثر النـــاس علـــى مقاعد مختلفة حولك، تحلق بعضهم حول جـــهاز تلفزيـــون يعرض بثاً فضائياً لنساء أجسادهن من المرمـــــر، شـــعرت بشوق إلى المرأة، هربت إلى الصحيفـــــة اليوميـــة قـــابلت خاطرة كتبها ذلك العجوز المتصابي، بدا وجهـــــه منتـــوف الشعر، وافتر ثغره عن براويز سوداء لبقع بيضاء، بـــــدأت تقرأ "لك يا سيدتي هذا الحب، لك كـــــل عنـــاقيد الفرحـــة، أمطريني حباً، وجهـــي صحراء تتشقق جفافاً، مثقلٌ بالوجع العابر، مثقلٌ بصدأ النسيان، فالشوق أخاله زمناً آخر،....".

لم تكن وحيداً في ذلك المقهى، صـــــاحبتك همـــوم العزلة، تضحك، يشاركك الضحك ملامح وجهك، جســـدك المترهل، وسنين طوال خلفتها وراء ظهرك أبقيـــــت منـــها ذكريات شاحبة لرجل بحث عن نفسه كثيراً بين الأوراق، لم يكن يعرف بأن الأوراق قد تتلف وقد تزور وقـــــد تختلـــط بأوراق أخرى لا علاقة له بها. كنت تثق بأن تلـــك الأوراق تحمل اسمك، بصماتك، صـــورك فـــي أوضـــاع مختلفـــة، صورك وأنت تأكل، تنام، وأنت تموت.

* * *

جمال فايز

من مواليد 1964 (قطر). أصدر مجموعتين قصصيتين: سارة والجراد (1991). الرقص على حافة الجرح (1997).

دويبات[1] الباب الخشبي

(1)

طرق الأبناء باب البيت الخارجي مرات عديدة، عودهم والدهم ألا يخرج من البيت بعد عودته من صلاة العشاء، تكرر الطرق على الباب الخشبي، وكلما اشتد ارتد صوته حاداً، كأنما هو مخالب تنغرس فيه، تخنقه، تميته، تعوذ من الشيطان الرجيم، استغفر ربه، سحب "الملَة"[2] من تحت الماعز، أخذ "غترته" من على رأسه، وضعها على فم "الملة"، لاحظ وجود بضع شعيرات لولبية في

الحليب، أخرجها، سحب عصاه الموضوعة جانبه، اتكأ عليها بهيكله المقوس وهو يردد "حاضر.. جايلك"، مشى، ترافق خطوات أقدامه أنات تزفرها أعماقه وهو يتجه إلى الباب الخارجي.

دخل أبناؤه، قبلوا رأسه، مشوا خلفه، جلس السبعة أمامه، قال أحدهم:

– للسنة الثالثة نجيء لك، نتمنى سماع موافقتك على بيع البيت.

"اكفهر وجهه"، نظرإليهم ولم يرد،

وقاطعه آخر:

– أرجوك، أنا محتاج، بصراحة، جميعنا محتاج للمال.

– "نظر إلى الآخر ولم يتكلم".

قال ثالث:

– أنت "ليش[3] مب[4] موافق"

– "حبس دمعته ولم ينبس بكلمة"

(2)

بعد خمسة أعوام، وحينما كان يسقي النخلة

المنتصبة في وسط ساحة البيت بجوار البئر، لفت انتباهه الطرقات المتتالية على الباب، ذهب تجاهه، دخل أبناؤه، مشوا جانبه يرجونه الموافقة على بيع البيت، جلسوا معه في داخل مجلسه، تكلموا كثيراً وما قال شيئاً.

(3)

بعد عشر سنوات، وعندما كان ينشر "وزاره"[5] على الحبل، توقف لحظة سماعه طرقاً قوياً على الباب، ذهب يفتحه، دخل أولاده، سبقوه إلى مجلسه، حدثوه وما حدثهم.

(5)

بعد عشرين عاماً، جاء الأبناء والأحفاد، طرقوا الباب طرقاً عنيفاً أحدث فيه حفر صغيرة كثيرة.. طرقوه كثيراً لكن الباب لم يفتح.

هوامش

(1) دويبات: ومفردها دويبة وهي حشرة تأكل الخشب.

(2) الملة: الوعاء.

(3) ليش: لماذا.

(4) مب: غير.

(5) وزاره: قطعة قماش تلف حول النصف الأسفل من الجسم.

* * *

عبدالله الوصالي

من مواليد السعودية. نشر العديد من القصص في الصحف والمجلات. مجموعته الأولى تحت الطبع.

ثلاث قصص

الأيسكريم

في انتظار المحرم ومن ثقبين اعتادت أن ترى العالم الخارجي متن خلالهما رأته.

شاب ذو شعر فاحم لامع وملامح غربيّة وعيناه الباسمتان، رغم جمودهما، تشعان رغبة واشتهاء وهما تنظران إلى قمع البسكويت المليء حتى أقصاه بطبقات

الأيسكريم بألوانها الصارخة وفي أسفل الإعلان كلمات مستحثة عن عرض مغر.

أحسّت أن الجو لايزال حاراً رغم غروب معظم الشمس. اتجهت صوب محل الأيسكريم لتطفىء ظمأها. حين استقر القمع في يدها تأكد لها من ألوانه الباهتة ما تبادر إلى ذهنها عندما لم تجد في النادل من ذلك الذي في الصورة سوى زيه الذي يرتديه.

لا تدري الآن وهي في الخارج كيف استطاعت من قبل تجاهل كل هذه النظرات الراجلة وتلك القابعة في مقاعد السيارات في أجواء المواقف قبالة السوق، والتي ازدادت تركيزاً عليها من بين المنتظرات.

تراجعت فكرة لعق الأيسكريم التي خطرت لها حين أحست بخيط بارد لزج يسيل على قبضتها فالعملية دون رفع النقاب أمر متعذر.

انتبهت إلى أن قمة الأيسكرين أصبحت أكثر تحدياً. رجعت إلى داخل السوق عازمة على أن تختلي بنفسها. بدا السوق أكثر ازدحاماً من ذي قبل.. دخلت دورة المياه فتقززت نفسها من منظر الأرضية المتسخة والرائحة النتنة فتراجعت خارجة.

كانت الخيوط اللزجة تتكاثر وتستطيل لتقطر على

أرض السوق الرخامية. والقمة تواصل الإنـهيار ويدهـا الممسكة بالقمع تزداد ابتعاداً عن الجسم خوف الاتسـاخ. والمحرم لابد أنه الآن ينتظر بالخارج تلفتت باحثـة عـن مكان منقذ رصدته من بعيد اقـتربت منـه فـي سـرعة رصينة، محكمة باليد الأخرى العباءة حول جسـدها ثـم شعرت وهي تتنظف يدها بارتياح كبير بعد أن ألقت به في صندوق القمامة.

كدح الأشياء

نور الصباح الأبيض يثابر فـي غـزو أرجـاء الغرفة.

شعور بالغربة عن المكـان يواصـل حرمـاني الغمض منذ البارحة. نظري الهارب عن كل مـا يوقـظ الذاكرة يعدو في الساحة المحاذية. وحدها الشجرة اليتيمـة هناك أوقفت عدو نظـري. اسـترعاني جذعـها المـائل المكشوط لحاؤه في أكثر من موضع وفروعها النافرة فـي غير ما انتظام. أسفلها كان (مختار حسين) يوشـك علـى الانتهاء من عمله اليومي في تنظيف سيارتي المتوقفة منـذ شهور. سكب الماء حال انتهائه على العجلات التي أوشـك

هواؤها على النفاد فانتظم على أرض الساحة زوائد إصبعية متفاوتة الطول. لاحظت شحوب أجزاء في هيكل السيارة ذكّرني وعداً قطعته على نفسي، عند شرائها، بتجديد الطلاء.

بدأ نظري في وجل يقيس مدى جرأته في العودة إلى الغرفة. بدا السرير مرتفعاً. وإذ حاولت نصب جذعي، صدرت عنه أنة مكتومة، أجلت النظر حولي. الطاولة في الزاوية البعيدة لاتزال ترفع ما فوقها. مقعد اسوّدت ذراعاه دون أجزائه الأخرى يولّيها جانبه. ورقة صغيرة أذكر أنها ورقة تقويم تطل من كتاب مطبق فوقها ينتظر منذ متى..؟ أردت معرفة تاريخ الورقة فتحركت لتناول عكازين مسندين بجانب السرير. أنّ السرير رغم حرصي ألاّ يئن. استقريت أخيراً فوق العكازين. أحسست بقدميّ المتدليتين تشداني للأسفل.وإذا تحركت صوب الطاولة، تطوحا في ثقل، انتشلت الكتاب. أخرجت الورقة. لم يكن تاريخها يعني لي شيئاً. أعدتها إلى مكانها. في الزاوية عند اتكاء رجل الطاولة الملاصق للجدار على الأرض رأيت (برغياً) يعلوه غبار قرب بيت عنكبوت، تذكرت اختلالاً في اتزان المقعد وإذ فشلت محاولاتي التقاطه حاولت الجلوس. أدركت كم أنا معزولاً فوق عكازي حين بدأ

الترجل، أيضاً، بنفس الصعوبة وكان جلوسي أشبه بالسقوط. تناولته، نفخت عنه الغبار ثم أمسكت بالمقعد.. قلبته، إلى جانب ثلاث (براغ) تمسك بقاعدته، تتفاوت في مدى ثباتها، ثقب. أدخلت (البرغي) فيه وشرعت أثبته بأداة استعرتها من فوق الطاولة..

أنأى.. فيدنو الموج

إلى البحر وجهي وظهري للمدينة.

جرعات من علبة مرطب بارد تفشل في ما صنعت من أجله.

زخات من الهواء تصل تباعاً إلى الشاطئ، تدفعني القهقرى فيهتز ثوبي كبيرق منكس مجبر على الخفق. أدركت عبث تناول ما تبقى من المرطب. دلقت بعضه على الأرض المتربة بجوار الصخرة التي أقف عليها. تصاعدت الغازات المختزنة من فقاعات صغيرة تتكسر محدثة صوتاً كصوت القلي. واصلت دلق السائل على شكل دائرة. دفقتان متوازيتان بداخلها وأخرى حاولت أن تكون على بعد متساو من الدفقتين وأسفل منهما.

تأملت ما صنعت. بدا كوجه ينقصه فم. سارعت بدلق كمية أسفل الأنف. لم تكن موفقة فقد أتلفت اللوحة.

انتقلت إلى مساحة مجاورة.. دائرة.. دفقتان.. ثم أخرى وبحرص شديد حاولت رسم الفم أتلفت اللوحة أيضاً.

أصررت على المضي في اللعبة للمرة الثالثة وحين وصلت إلى الفم لم يكن قد تبقى شيء في العلبة. رميت بها إلى البحر. استقبلت سطح الماء بجانبها. استدارت حول نفسها. تدفق الماء إلى جوفها فأخذت وضعاً رأسياً إذ انغمر جزء منها. شرعت العلبة تتراقص بانسجام مع ارتجاج الوسط من حولها، وحين ارتقت الإرتجاجات إلى مستوى موجة كانت في مقدمته، اصطدمت بالصخور المحاذية للشاطىء فتجرعت قسراً بعض الماء، تواصل الموج: تواصل الارتطام. والبارز من العلبة يتضاءل حتى ابتلعها البحر. أصوات أعرف كنهها بدأت تصلني من الخلف وأنا مستدير لاستقبال المدينة شاهدت المد وقد أصبح قريباً من لوحتي الأخيرة بعد أن لحس الموج بعض قسماتها. أسرعت محاولاً الانصراف إذ ظهرت مقدمة حشد يقترب تعلوه خرق ذات ألوان زاهية تخفق بشدة.

* * *

سالم باعامر

من مواليد 1946 (اليمن). روائي. من مجموعاته القصصية: حلم الأم يمنى (1983)، دهوم المشقاصي (1992)، بعيداً عن البروتوكول.

الضرع

أسرجت مهرتي وامتطيتها نحو القصي. كان الصمت ينطق بالحب بين الوادي والنخيل والعيون الجارية.. حادثتها شعراً وغناء وعلى صوت المزمار راقصتها وتساقينا الغزل واستغرقنا الحلم.

كان نقابها مهدي، وعيناها شرابي، وأنفاسها طيبي والانقطاع إلى صحرائها مبتغاي والتوغل في أغوارها سبيلي لاكتشاف ذاتي واتساع معرفتي للإنسان والكون وثياب طمأنينتي ويقيني..

حدقت في صفحة وجهها المنقوش بالوشم المنساب إلى وجنتيها وحتى أسفل الذقن فانبسط أمامي عالم تشكل بالرؤى المنبلجة والإيمان الراسخ والقوى الفاعلة في تشكيل اليوم وغد.

وفي ليلة هلّ هلالها وانقشعت غيومها، هبت نسماتها منعشة، تهاوى لها النخيل ووشوشة السعفات متناغمة بهمساتنا وتأملاتنا متموسقة بالماء المنساب من حوريت[1] إلى الوادي الذي ألف الحب منذ وجدت بدش[2].

تراءت لي لوحتنا تزين بالضوء والنخيل والماء وبقطرات الندى وما يرفرف في الكون اقتربت مني فدنوت، صار تفردنا توحداً غدونا أقرب إلى الانصهار فجأة اخترقنا جسم غريب.

قبل أن يتكدر حوريت مضينا صوب خيمتها وافترقنا لنلتقي، هل نمت تلك الليلة؟ امتد في الأفق عالم متناه، لو أنه يتحقق، تحت نخلة وارفة أسلمت أذني

(1) حوريت: مكان يصب الماء ليل نهار.

(2) بدش: قرية في المشقاص.

لانسكاب الضرع[3] الوفير وغطى بـــدش، سـرت فـيّ قشعريرة ولدت بداخلي رغبة في البكاء.

انطلقت أعيرة نارية هاتفة منبئة بقدوم السيل.

"يا حولاه يا حولاه".

تماسكت، رفعت رأسي فتعمق يقيني بانفصال ذاتي عن ذاتي، سعدت رغم الحسرة لعدم اندمـاجي بـالقصي والضرع.

اتجهت إلى القرية فاعترضني النخيل عدت إلـى حوريت فوجدت الماء ينسكب ويزداد ارتفاعـاً. كـورت جسدي وسط الماء واقتربت من الضـرع الـذي نزلـت قطراته تروينى وجاءني صوت ليس بالصوت بدا لي أنـه ليس من الأرض:

"الراتع، الراتع".

وانشق الضرع وصعدت إليه فأحاطني بعوالم غير مرئية تنفح طيباً وتغدق وهجاً ... ما يعتمـل فـي بـدش وبنيها، عدت وعادت القصي وقد احتضننا الفضاء.

مع هبوب النسمات النقية وانسـكاب المـاء مـن

[3] الضرع: صخرة صقلية تبدو وكأنها نهد امرأة يصب الماء طوال الوقت.

الضرع والجبل والسماء ترددت الأصوات التـــي شــكلت لحناً سمفونياً وإيقاعاً روحانياً بهيجاً.

"يا حاولاه، يا حاولاه".

انطلقت أعيرة نارية منبهة كل من لم يـــزل فـــي الوادي ليصعد إلى الجبل.

* * *

فهد المصبّح

من مواليد 1954 (السعودية). أصدر ثلاث مجموعات قصصية: صاحب السيارة البرتقالية (1988)، للدموع لغة أخرى (1994)، الآنسة أولين (1998). مجموعتان تحت الطبع.

المصروم

من فراغ الليل يأتي.. من عوج الحاضر، وجوع الماضي.. خلفته نهارات رملها يكوي الجباه، وليال، تجشؤها كبخر المزابل.. أخذ ينهب الخطا مستحلياً الأمل الكذوب، وعين الشمس تتقي بالغيوم شبح الغروب.. يتأمل نخلة الأمس البائسة، وعلى ساقها آثار مخلوق ثري.. من مكانه هذا رسم درب العبور.. ركب صهوة التصميم.. لم يرافقه أحد إلاّ كلبه الهزيل.

عند البئر أرسل نظره في المهوى السحيق.. حاول أن يرى صورته.. كانت زرقة السماء، وغيمات صغيرة

كغنم يحدوها كلبه الهزيل، وعواء ذئب يأتيه نذيراً يؤوساً.. خلفه البلاد، وأمامه المهلكة.. فوقه السماء، وتحته الموت، وهو ينبش بغصن جاف أرض الفيافي.. رجلاه تطأ وحلاً جافاً إلا من الملوحة.. عندما وصل إلى نهاية الطريق لم تقدر ساقاه على حمله فوقع على الأرض.. جاءه كلبه الهزيل بدُرّاجة مذبوحة بسهم معوج.. اخترق الجسم مرتين.. أيقن أن حياته لن تكون على الأرض.. والدته تهرول مولولة تخبره أن القوم أتوا ليأخذوه.. كانت تحثه على الهرب أو الاختباء.. لم يعد في الدار ما يخشى عليه.. سوف تتبعه على بغلة أبيه المسنة، وستحاول أن تجلب له كل ممتلكاته التي يحبها.. قام.. نفض النوم من عينيه.. نظر في الدار.. في نفسه.. في أمه.. تسلق درج السلم، ومن سطح داره وثب على سطحٍ الجار، ثمّ إلى الذي يليه.. ظلّ على هذا الحال زمناً طويلاً، حتى تهاوى الأمل في العثور عليه.

من علو وثب إلى بهو المسجد.. نزل على القوم وهم في العبادة.. ارتبك الإمام.. حاول البعض الهرب.. ظلّ واقفاً حتى فرغوا.. بعدها كبّر، ودخل في صلاته، في أول ركعة انقض القوم عليه.. أشبعوه ضرباً.. خرّ على الأرض.. لم ينطق بكلمة.. لم تند عنه أنّة.. ظل وجهه قبالة السماء.. انتهى كل شيء.. اختفت تلك الغيمات.. تلاشت

زرقة السماء.. كانت أمه قد قطعت شوطاً طويلاً على البغلة الهرمة، لكنها لم تخــرج من حدودهــا.. كانت تــدور بــها لا غير، وانقضى دهر لم يفكــر فيه أحد مفارقـــة مكانـــه، وكل الألســن تتذكر بغير نطق ذلك الرجـــل الـــذي لقـــي مصيره على حصيرة المسجد دون أن ينطق بكلمة واحدة.

* * *

يحيى سلام المنذري

من مواليد 1970 (عمان). أصدر مجموعة "نافذتان لذلك البحر" (1993).

صباح

أليس هذا الصباح جميلاً..؟

إذن وبكل هدوء سوف أقوم من على سريري وأقفز ثلاث قفزات في الغرفة لأن الصباح يبدو جميلا.. أقف عند باب الغرفة أتطلع ناحية زوجتي التي مازالت نائمة.. على الفور أركض ناحيتهما.. والصباح يدفعني لذلك وقد سقاني شراب الانتشاء، تقوم زوجتي ضاحكة بغنج وتضربني على يدي ضربات لينة مثل نسمة هواء باردة تلاطف خدي، أتركها لكي أدخل الحمام.. أفتح الحنفية فأجد الماء يتدفق بغزارة لا توصف، وليس هكذا في بقية الصباحات الماضية، وهذا الصباح جميل يدفعني أن أضع أصبعي في

فوهة الحنفية (فيطرطش) الماء بقوة ليستحيل المكان إلى مشهد ماطر ينهمر فوق رأسي وعلى وجهي ويصل حتى السقف.

تذكرت الآن صباحاً قديماً حينما نقر غراب زجاج نافذتي فسقط قلبي خائفاً لأني تذكرت طيور هيتشكوك، وفي حينها تذكرت القط الأسود الذي دهسته بسيارتي قبل يومين من ذلك الصباح القديم فساورني القلق وازدادت وساوسي حول الأيام القادمة ومدى ثقلها، فلماذا إذن ينقر الغراب زجاج نافذتي محاولاً تهشيمها؟ ولماذا القط الأسود ينفّذ عملية انتحاره بنجاح ويستخدمني أداة لموته؟ هل سأخسر أحلامي تدريجياً؟

ذلك صباح قديم.

وصباح اليوم يبدو جميلاً.. ألا يبدو جميلاً حقاً؟

ها أنا أتهيأ للذهاب إلى العمل، وإذا فتحت الباب سأجد الصباح شخصياً يرحب بي وسوف يعرّفني على هدوئه غير المعتاد وسأسأله إن كان سيحتفظ بهدوئه هذا، فيجيبني "وكيف لي أن أعرف ذلك".

أخاف الآن أن أقوم من على سريري ولا أقفز القفزات الثلاث، وبالطبع ليست لي زوجة أتطلع إليها وأركض ناحيتها، ولا أعتقد بأنني سوف أدخل الحمام طالما أن حنفيته جافة، لأجعل هذا اليوم مناسبا للنوم، غداً سأفكر جدياً بالذهاب للعمل.

* * *

عبدالله التعزي

من مواليد 1964 (السعودية) أصدر مجموعة "سيد الطيور" 1998). المجموعة الثانية تحت الطبع.

قصص قصيرة جداً

يتفتت.. ربما قليلاً

صوته.. يذكرهم بتلك الرحمة الممزقة، وهو يتعالى من بين شفتيه المشدودتين.

لم يشاهدوا غير رأسه الأبيض بأذنيه المحمرتين ويبدو أنه لن يشاهدهم من بين الدموع. خده متورد ورغبته في البكاء شديدة قاسية. الدموع تؤلمه حين تخرج من عينيه، وتجمعت كل السنوات الست التي عاشها

بين شهقات وملامح أصوات متباعدة بحزن.

يتحسس الهواء حول وجهه بنظرة تـــارة وبيديـــه المبتلتين تارة أخرى ولا يعرف إن كان قد أمسك بشيء أم أنه أفلت منه.

خلت الغرفة منهم جميعاً فلم يعـــد يســمع غــير همهماتهم وهم يحيطون به بقسوة لا يعرف مصدرها.

بكاء

يبكين معاً.

كل واحدة منهن لها صوت مختلف عن غيرهــــا. كرمشات وجوههن البادية بين أغطيـــة الـــرأس؛ تذكــر بالجلود الخالية من الدم. كن خمس عجائز يجمعهن الدمـع والشيب والجدار خلفهن ملطخ بالهم كأنـــه يبكـــي. حتـــى الهواء توقف عن نقل أصواتهن احتراماً لميتهن الصغير.

قد يكون الموت قريباً جداً منـــــهم وينظـــر إلـــى تجمعهن الصغير بإشفاق هادىء وأراه وقد تحين الفرصـــة ليعتذر، لكنهن يسبحن في أصواتهن الناحبة.

تتلمس أعينهن بيـــن الحيـــن والآخـــــر بعــض

الخيالات والذكريات. يحدقن في صورة الميت المعلقة هناك في ذاكرتهن المتعبة.

ابتعد الموت ببطء محني الظهر.

يحلق في الهواء

دهشته كانت واضحة وهو يضع يده الصغيرة المنتفخة الأصابع على فمه ليمتلىء بالأكل. يده الأخرى تمسك بقطعة البسكويت المهشمة متوقفة عن الحركة.

عينه تبحث في الفراغ أمامه عن مكان تستطيع أن تتوقف عنده؛ طفل في السابعة من عمره كان يقف على طرف الرصيف ينظر إلى الإشارة الضوئية الحمراء المصلوبة على رأسه؛ عنقه بدا منتفخاً قليلاً. السيارات مسرعة تنهب الأسفلت المترب. الأصوات تتزاحم حوله بضجيج. تطلع على محل الألعاب في ركن الشارع المقابل رمى بقطعة البسكويت من يده وانطلق خلف الألوان الزاهية. من بعيد بدا وكأنه يحلق في الهواء وفمه مملوء به..

أنفاس متوحدة

ربما تلبس عدسات، هكذا بدت.

على أذنيها تضع قرطاً من الجواهـــر الصغـــيرة مثبتة بفضة تناسب براءة بشرتها الصافية. شعرها انتشـــر حول رأسها بهالة ســـوداء مذعـــورة زادتـــها جمـــالاً. ابتسامتها البسيطة جعلت من شفتها الحمراء دهشة جمـــال الكون. اقتربت العدسة وابتعدت كنصـــل منحـــل. ظـــهر بجوارها طرف من وجهه ينسكب على شعرها.

مازالت تنظر إليه وهو ينظر إلى الأرض متـــهللاً. لم يبد من ملابسها غير الشال الرمادي المخنوق. أطفـــأتُ الأنوار ولم أعد أسمع غير تردد أنفاسها وصوت انغـــلاق الباب الحجري.

همهمات

فارداً ذراعيه إلى المنتصـــف ومرســـلاً نظراتـــه الواسعة إلى الأمام كطائر يود الرحـــيل. فمـــه مـــازال يتحرك ويخرج صوته الذي لا يتناسب مع ذقنه البيضاء.

كان في جلسته كمن يتراجع خوفاً مـــن انســـكاب كوب الماء على ملابسه. تراصت الميكروفونات بجـــانب الطاولة الأيمن. يبدو المقعد الخالي بجواره ينتظر أحداً لـــن يأتي. دهشته التي ترتسم بين فترة وأخـــرى تجعـــل منـــه

منه ساحراً يحاول الاستعانة بالهواء؛ ليظهر عندها أنفه متناسقاً مع أسنانه المصفرة.

عندما يتوقف عن الكلام ليرتشف جرعة ماء تسري همهمات خفيفة في القاعة تجعله يسرع البلع ليعاود الحديث قبل أن تستفحل الهمهمات.

يجب أن يتكلم. ما كان يخيفه فعلاً معاودة شعوره بعدم الاقتناع بما يقول فيصطخب المشهد بسرعة. عندها لن يقدر على الكلام.

انتظار الطريق

خلع جزمته وترك الهواء يتسرب من مسامات الشراب الصغيرة إلى قدمه المبللة. كان جالساً على طرف الرصيف في الشارع كمن ينتظر أحداً سيأتي بعد قليل. أمامه تستند على بعضها عربة سفر حديدية رصت عليها ثلاثة صناديق صغيرة. كان يسند رأسه على ظهر كفه الأيمن ويسند مرفقه على ركبته ويحدق إلى الأمام مرسلاً نظراته من بين مقابض العربة التي أمامه. لم يكن له هدف محدد من التحديق ولكنه فقط يطلّع ليمضي أكثر فترة من الوقت قبل أن ينظر إلى الساعة. يقاسمه شعور

بالوحدة وهو يطّلع فقد وجد نفسه فجأة في زحمة الشارع ولا يعرف أين يتجه.

يعرف الطريق المؤدي إلى المنزل ويعرف الطريق المؤدي إلى العمل ولكنه فضل الجلوس على الرصيف ربما يعرف طرقاً أخرى أكثر جرأة وأبعد اتجاهاً.

* * *

ياسر عبدالباقي

من مواليد 1972م (اليمن). نشر قصصه في العديد من الصحف والمجلات. مجموعته الأولى تحت الطبع.

حافلة رقم 99

توقفت الحافلة الكبيرة في المحطة الرئيسية لنقل بعض الركاب إلى مدينة أخرى.. وكان الركاب من مختلف الأجناس والأعمار، فتلفت السائق العجوز خلفه ليتأكد من امتلاء المقاعد بالركاب.. وقال يحدث أحد الركاب: هيا أيها الشاب ... اجلس في مقعدك.

بدا الشاب ... مرتبكاً ونظر بزاوية عينه نحو الأجانب الأربعة وجلس بعد أن وضع حقيبته تحت مقعده.. وجلست بجانبه امرأة عجوز.. وقالت له: كان لي

ابن في مثل سنك، لكنه قد مات. لم يقل شيئاً.. وضع رأسه إلى زجاج نافذة الحافلة وأغمض عينيه.

- جدتي، انظري.. إنه عمي!

- أين؟

في المقاعد الخلفية جلست امرأة عجوز في السبعين وحفيدها نحو العاشرة من عمره.. تمتمت: آه.. إنه هو.

كان هذا منذ سنوات عندما اختفى وعاد للظهور بعد ذلك ليقول إنه كان في أفغانستان ولكنه عاد ليختفي.. وظهر فجأة وقال إنه كان في البوسنة مع إخوانه.. ومنذ أشهر قليلة كان قد اختفى وها هو الآن يظهر من جديد.. سألها حفيدها: جدتي.. هل أناديه؟

ابتسمت العجوز بسخرية وقالت: لا.. إنه يناضل.. سامحني يارب.

وتحركت الحافلة.. ونظر الرجل ... إلى ساعته وركل حقيبته ركلة خفيفة وكأنه يتأكد من وجودها تحته.. وسمع العجوز تقول له: بني.. أغلق نافذتك.

نظر إليها بتعجب كانت النافذة فعلاً مغلقة.. ابتسمت له وقالت: الرحلة طويلة وأنا امرأة عجوز إن لم

يتكلم أحد معي أثناء هذه الرحـلة فسيرتفع ضغطي. لـم يقل شيئاً سوى أنه عاد ليسند رأسه من جديد على زجـاج الحافلة، أدارت العجوز رأسها بعيداً منه وتمتمت: متكبر.

مضت ساعة، وأغلب الركاب في نوم عميق. كان الطفل نائماً في حجر جدته التي تراقب ابنها الجالس بعيـداً عنها تراقبه وابتسامة حزينة ودمعة خفيفة قد طفت علـى وجهها المتجعد.. استيقظ الطفل.. وقال: جدتي هل وصلنا؟

قبلته على جبينه وقالت: لا.. مازال البيت بعيداً.

والتفت نحو عمه وقال: عمـي نـائم.. سـيفاجأ عندما يرانا ننزل معه من الحافلة.. هزت الجـدة رأسـها بالإيجاب.

فجأة استيقظ الشاب ...، ونظر إلى ساعته ثم إلـى الأجانب الأربعة.. وصاح: توقف.. توقف.

نظر إليه السائق وقال: أين.. إننا لم نصل بعد.

قال الشاب متلعثما: لقد نسيت شيئاً مهماً.

توقفت الحافلة.. وقال سائقها سـاخراً: حسـناً.. انزل.. أرجو ألا تكون قد نسيت...

لكن الشاب لم يسمع الكلمات الأخيرة. كان يمشـي بسرعة عجيبة عكس اتجاه الحافلة.

وصاحت العجوز: ذلك الشاب.. قد نسي حقيبته.

إلا أن الشاب كان قد ابتعد.. وقفز الطفل من أحضان جدته واتجه نحو المرأة العجوز وقال: خالتي.. أين الحقيبة.. أنا سآخذها معي.

قالت العجوز: هل تعرفه.

قال الطفل: نعم.. إنه عمي.. وتلك جدتي.

ابتسمت العجوز وقالت: إنها ثقيلة دع جدتك تحملها عنك.

وتحركت الحافلة واحتضنت الجدة الحقيبة وكأنها تحتضن ابنها.

وفي الجانب الآخر من اتجاه الحافلة.. كان الشاب... قد أبطأ في خطوه وأخرج من جيبه شيئاً، وعلى فمه ابتسامة غريبة.. وفي كل حين كان ينظر إلى ساعته حتى وقف فجأة، وأخذ يتمعن في ساعته ومن ثم وضع إحدى يديه على أذنه.

وفي الجانب الآخر دوى انفجار رهيب من الحافلة "99".

* * *

عبدالله بن ساعد المالكي

من مواليد 1954 (السعودية). نشر قصصه في العديد من الصحف والمجلات. مجموعته الأولى تحت الطبع.

غداء غير منتظر

هيا نتبعه – هيا – كانت الكلمة الوحيدة التي سمعتها من عبدالكريم يرد بها علي وهي الكلمة التي دائماً يرددها كلما هممنا بفعل أمر غير معتاد.

سلام عليكم. قالها الرجل ومضى ومضينا خلفه نتبعه كانت تضلله غمامة صغيرة من الدخان الأزرق المنبعث من غليونه المصنوع من شجرة تدعى تالب وهي شجرة ذات أغصان رخوة بالإمكان تجويف أغصانها عقب تجفيفها يتخذ الناس منها أشياء عدة ومنها الغليون وكانت رائحة الدخان الأخضر تنتشر في المكان الذي يعبره

الرجل وما برح يضغط بخفة بطرف إبهامه على فوهة الغليون ليحافظ على اشتعاله، بعد برهة توقف. استدار بقامته الصغيرة المنحنية ووجهه الأسمر. نظر إلينا وسألنا بحدة إلى أين؟ قلت معك ولم يعلق. استدار نحو القرية وتبعناه. كان الرجل يحث خطاه في رشاقة.

كان عبدالكريم يصغرني بسنتين وكان ضئيل الحجم معتل الصحة وكنت ممتلىء الجسم وصحتي الجسدية جيدة. وكنا عائدين من السوق الأسبوعي بعد أن تسكعنا بالسوق دون حاجة إذ إننا لم نكن نملك قرشاً واحداً كما أن أحداً من أهلنا لم يذهب للتسوق في ذلك اليوم وقررنا أن نقتحم السوق منفردين لعل وعسى، كان السوق يبعد عن قريتنا حوالي ساعة سيراً على الأقدام. ويشكل نقطة تجمع أسبوعية للفلاحين في القرى المجاورة والتي يربو عددها على عشرين قرية. عندما وصلنا السوق كان الفلاحون مايزالون يفدون إليه زرافات ووحداناً. كان السوق يحتل مساحة عبارة عن سهل وجبل وتمتد في السهل على شكل قلادة غرف صغيرة مبنية بالحجارة ومسقوفة بالجريد، وليس لها أبواب، وهي الدكاكين التي يفترشها الباعة ويفردون داخلها بضاعتهم المتواضعة المتنوعة حتى إذا جن الليل رحلوا وحملوا بضاعتهم على

ظهور الحمير عائدين إلى قراهم. وكان باعة التمر والتنباك الأخضر والبلح والملح يفترشون وسط السوق المساحة المتبقية من السهل. أما سفح الجبل الصغير المنتصب في شرق السوق فكان يحتله باعة الأغنام والبقر والحمير.

وكذا فقد قررت أن نعود مبكرين وحيث إن قراري هو الذي أحضرنا للسوق، فإن عبدالكريم لم يمانع وبقي كما هي عادته. عندما أسأله ينظر عند قدميه ويهز رأسه موافقاً. وفي طريق عودتنا لمحنا الرجل قادماً فغيرنا اتجاهنا دونما إبطاء وكان قرارنا باتباع الرجل لعلمي الأكيد بأنه سيحظى بإقبال جيد إن لم يكن حاراً في القرية المجاورة، والأهم من ذلك فإنهم ولاشك سيقدمون له شيئاً من الطعام إذ إن الوقت مايزال ظهراً وهو وقت غداء.

لم يعد الرجل يأبه لسيرنا خلفه ويبدو أنه ايقن بأننا نتراجع إلا أنه أضمر على أن يتبرأ منا ويوحي للناس بأننا مشردون وهذا عكس ما كنا نأمل إذ إننا كنا نأمل أن يتبنانا ولو ظاهرياً وبصفة مؤقتة معتمدين في ذلك على عامل الشفقة وغزو الجانب القبلي في شخصية الرجل، إلا أن شيئاً من هذا لم يحدث مطلقاً.

حاذينا القرية ومازلنا يتقدمنا بخطوات وغليونه

مشتعلاً ومازلت أمسك بيد عبدالكريم كي لا يقع في العتبات التي تقود إلى مداخل البيوت وتتخذ طابع السلم الحجري ترتفع وتنخفض تبعاً لمستوى ارتفاع المنزل عن سطح الأرض. اختار الرجل بيتاً منخفضاً يتكون من دورين وقد بدأ الدخان ينبعث بكثافة من سطح المنزل حيث مسقط الضوء وكذلك من مدخل المنزل الخشبي الصغير.. وبدا أن اختياره مبيّتاً، أحسست بأن هناك شيئاً يعد في الداخل وهو حتماً أكل، إذ إن الشاهي والقهوة لا تستدعيان مثل تلك الكثافة من النيران المشتعلة في الحطب، حطب الموقد. وكنت ونحن ندلف خلف الرجل غير الآبه بوجودنا خلفه، كنت خائفاً أترقب الكلاب فكما هي عادة الفلاحين كانت الكلاب في كل منزل وتتفاوت في شدة بأسها، وكان بعضها ختولاً عقوراً لا تشعر بوجوده إلا وهو ممسك بعرقوبك أو طرف ثوبك. ولم أشأ أن أبعث الرعب في قلب أخي الصغير لعلمي بأن الرجل لن يدافع عنا هذا إن لم يجدها فرصة كي يتخلص من ملازمتنا له. وكان بالرغم من انحناء قامته مايزال في متوسط العمر صحيح الجسم له ذقن خفيفة مدببة وشنب غير مشذب برزت به في غير نظام شعيرات بيضاء مصفرة بفعل الدخان وكان يضع على رأسه عمامة تقادم عهدها فأضحت داكنة وقد غرز بها من أغصان الريحان والبعيثران...

وكان حتى تلك اللحظة يتنازعه نوع من الحيـــاء وعدم المبالاة لوجودنا. إلا أننا لم نتعرض لأي مجابهة مع الكلاب. قرع الرجل الباب بطرف عصاه وصـــاح بــأهل البيت. فانبرت له امرأة عانس ممتلئة الجسم يتلألأ وجهـها بالدهن قد أبرزت مفرقها الذي برزت به شعيرات بيضـــاء نافرة يبدو أنها لم تلحظها وشدت حول الباقي من شـــعرها شالاً أسود وارتدت سدرة تبينت فيها ما يزيد على أربـــع رقعات حمراء وسوداء في أنحاء مختلفة حــــول جســـدها الممتلىء، وافتر ثغرها عن ابتسامة ذات معنـــــى وبـــدت أسنانها غير منظمة ولا نظيفة.

من هؤلاء معك. قالت المرأة وهي تشير للرجـــل بأن يجلس في مكانٍ محدد جوار الصُفة المطلة على سطح الوادي المليء بأشجار التين الشوكي (البرشوم). رد فـــي نزق لا أعلم من هم.. تبعوني من قرب السوق.. من أنتـــم يا ولد. أخذ الرجل يطرح علينا الأسئلة وليـــش جـــايين؟ وأيقنت بأنه يؤكد براءته منا أمام المرأة الوحيدة حتى الآن في المنزل المليء بالدخان من جراء ما تطبخ في الموقـــد الذي أخذت... تزكيه بمزيد من الشث المجفف.

لم تستفزني نظرات الاستهجان من المرأة كما لـــم أكترث بأسئلة الرجل.. وتسمرت عيناي على مـــا تفعلـــه

المرأة وكانت تقلب في قرص لم يستو على صاج تمسك به بقوة باليد الأخرى ثم تقذف بالقرص بعد أن ينضج في منسف مصنوع من القش إلى يسارها ثم تمسح الصاج بخرقة في يدها ثم تغرف من قدر بجوارها ممتلىء بالعجينة قدر الكرة الصغيرة تمدها بأطراف أصابعها على مستوى دائرة الصاج تمهلها قليلاً ثم تكدها كداً فتقلب القرص على وجهه الآخر؛ كانت وهي تعمل على إنجاز مهمتها بكفاءة تتبادل مع الرجل نظرات معتقدين بأننا نجهل مغزاها لصغر وحداثة سننا ولكنني كنت أفقهها تماماً بفضل ما كنت أسمعه من شباب القبيلة في ليالي السمر وتبجحهم الدائم بالحديث عن بطولاتهم ومغامراتهم الوهمية. مع فتيات ليس لهن وجود.

بيخلّونا نأكل معهم.. قال عبدالكريم بصوت خفيض وقد رفع رأسه بمحاذاة أذني كي أسمعه وعندما نظرت إليه لمحت في عينيه جوعاً ومسكنة شديدين. لم أستطع الجزم بلا أو نعم، وأحسست باللعاب يملأ فمي عندما أردت أن أنطق إلا أنني أحسست ببعض الأمل عندما رأيت بأن المرأة لم تكتف بقرصين أو ثلاثة بل شرعت في إعداد المزيد، بل إنها نهضت مسرعة واستخرجت من كيسٍ في زاوية البيت ملء قبضة يدها

دقيقاً ووضعته في الحلة التي بها العجينة وسكبت عليه قليلاً من الماء.

لا يكون أنهم أولادك يا عويّض؟ سألته المرأة في نوع من المداعبة وهي تحاول إلقام الموقد بمزيد من شجر الشث. قهقه عويض عالياً وبصق جانباً باتجاه الصُفة المطلة على شجر (البرشومي). قلت لك ما تزوجت من وين يجي لي أولاد يا مليحة. ما أدري. ردت مليحة وأضافت وهي تعيد ترتيب القرصان في داخل المنسف يمكن سويتها من ورانا. وهنا أدركت بُعداً وإن كان يسيراً في نوع العلاقة بينهما. نحت الصاج جانباً وتقدمت نحونا بالمنسف فوضعته أمامنا وتبسمت لعويض، ثم دلفت نحو ركن قصي من المنزل. كان المنزل يتكون من طابقين كما هي جميع بيوت الفلاحين في تلك المنطقة ويستخدم الطابق السفلي لإيواء الدواب من غنم وبقر وحمير والطابق العلوي يستخدم مسكناً يتفاوت في اتساعه ونوعه تبعاً للحالة المادية لأصحاب المنزل ويفصل بين الطابقين سقف خشبي كالسقف العلوي تماماً. وكان يهتز هزاً خفيفاً كلما تحركت المرأة وكان تحركه شيئاً مألوفاً وإن كان ينبىء عن ثقل وزن الشخص المتحرك فوقه.

مليحة.. صوّت عويض وهو ينحي غليونه جانباً

ويتقدم نحو المنسف.. لم تجبه بل عادت أدراجها وقد أحضرت في يدها صينية صغيرة بها متجمد أبيض ووضعتها داخل النار التي خمدت وبقي بها جمر مستعر وأبقتها حوالي دقيقة، تحول ذلك الجامد إلى سائل ذي رائحة زكية من السمن المحلي أحضرته ووضعته إلى جوار المنسف المحتوي على القرصان السمراء اللون، جلست هي إلى جوار عويّض وتناولت قرصاً فشطرته نصفين ومدت له بنصف ثم جلجلت بضحكة وشرعا في الأكل.. ولم يعطيانا أي إشارة قبول كما لم يكترثا لوجودنا. أحسست بصديقي الصغير يتململ وأدركت ما به.. كما أدركت بأنهما لم يقوما بدعوتنا لمشاركتهما في الأكل وأنهما يتعاملان معنا كفضوليين.. وأننا نحول بينهما وبين الاستمتاع بتلك الوجبة في تلك القيلولة. كان الجوع الكافر يجردني من نوازع الخوف ويدفعني دفعاً لاتخاذ قرار.

نظرت نحو صديقي. كانت عيناه تتوسلان وقد أسلم لي قياده.

أمسكت بيده وتقدمنا خطوتين وجلسنا قبالتهما. وفعلت أنا كما فعلت المرأة. تناولت قرص من المنسف وشطرته نصفين. ناولت عبدالكريم نصفه. لم تثر حركتي

أي رد فعل منهما، كانت الصينية التي بها السمن مما يليهما ولم يكن من المتيسر الوصول إليها، وشرعا يغمسان قطع الخبز فيها ويأكلان بنهم متفاوت. وبين الفينة والفينة لا يأبهان لوجودنا وشرعنا نلتهم الأكل بخفة إلا أن ابتعاد صينية السمن جعل متعتنا ناقصة. (نهب لهم قالت المرأة) قال الرجل هبي لهم شاهي. وتصنع ابتسامة. فجأة انتابته نوبة سعال فناولته وهي وجلة طاسة ماء كانت موضوعة منذ دخولنا قرب الموقد ثار عنها الذباب عندما حركتها. احتسى منها جرعات. ثم عاد لسيرته الأولى. ساد سكون لبرهة شقه صوت الأذان لصلاة الظهر. تراجع الرجل عن المنسف وشرع يجهّز غليونه. نظرت هي نحوه متسائلة فأشار بيده نحونا وزم شفتيه في ضيق. وشرعت ألتقط ما بقي من الخبز في ناحيته من المنسف.

فجأة توقفا عن الأكل. وجعلا ينظران إلينا في حنق. أدركت بأنه يجب علينا أن نرحل. وكزت صديقي كي يترْجع عن الطبق ويكف عن الأكل، فتناول مسرعاً قطعة فاضت عن استيعاب كفه الصغيرة حشرها في فمه حشراً وجعل يدفعها بأصابعه. أمسكت بيده ونهضنا وعندما غادرنا الباب كان مايزال يعالج مضغ اللقمة العملاقة في فمه. وتناهت إلى أسماعنا ضجة السوق.

سلكنا ذات الطريق التـــي قدمنـــا منـــها وعندمـــا أصبحنا خارج محيط القرية استدرنا ننظـــر إلـــى مكـــان المغامرة. كانت النار تشتعل في منزل المرأة.

* * *

جعفر الجشي

من مواليد 1964 (السعودية). مجموعته الأولى "موت بلا ثمن" تحت الطبع.

المنقذون

(1)

يمضغ حسرته لائذاً بالأمل الأخير.. يفاقم من خيبته..يتلوى في بطن الليل.. يحشو ذاكرته بتأوهات وندم ليس وقته الآن.. كيف طاوعته نفسه على اتخاذ مثل هذه الخطوة؟ إن صحة بدنه وعضلاته المفتولة وطوله المتناسق وسحنته السمراء الفاتنة التي من دون شك توقع أي فتاة في حبائل لا فكاك منها وشعره الذي يندر أن ترى

مثله – ناعماً على خلاف باقي أبناء قريته – وحبه للآخرين ومساعدته للفقراء ووقوفه بجانب جيرانه في ساعة محنهم... كل ذلك لا يعني أنه مؤهل لاتخاذ زوجة ثانية..

في اليوم الذي خطبها كان يعتقد أنه احتضن الدنيا لكن المؤكد أن ذلك لم يدم سوى بضع ليال..لم يكونوا في ذلك الوقت يسمون الأيام الأولى من الزواج شهر عسل لكن حسب أصدقائه فإنه تذوق طعمه عشرات المرات لكنه سيقول لهم بعد ذلك إن هذا بمثابة الطعم الذي يوضع في الفخ لاصطياد طائر وها هو قد وقع فيه.

... والقلب يسارع من نبضاته يطرق الباب بيأس.. شبه صوت يتحشرج من الداخل.. دفقات الصمت تضرب أطنابها في أذنيه:

ليست هذه الليلة ليلتي!

افتحي الباب يا بنت الناس (أنت غلطانة)!

مزلاج ينتحر.. عواء يغتال صمت السحر.. هسيس يدغدغ الأرض الجرداء.. توسلات يدفعها من جوفه الخاوي..

أهذه هي السعادة التي زعموا أنني سأتمرغ فيـها.. لقد غرروا بي ودفعوني نحو طريق مسدود وأولهم أخي.. أين تلك الراحة التي تطوقه والسعادة التي تسـافر عـبر وجهه..ثمة صوت يزلزل كيانه:

هل أنت طفل؟!

(2)

لم يكن أمامه إلا حل واحد: المسجد!

أخذ يخترق الطريق العذراء إلا من حفر.. يجتـاز المزارع التي تقطنها الكـلاب الجائعـة.. تلطـم الأرض أقدامه المترددة.. يلوح له... المسجد عـن بعـد.. بنـاء يتشامخ رغم الفقر الواضح في ملامحه.. صورة ضبابيـة له ترتعش في عيونه.. يتلمـس له رشـفة مـن ضـوء القمر.. القمر الغاص بغيمة ثقيلة.

يتدحرج إثر ارتطامه بنخلة عجوز فاضت روحـها منذ زمن، عرف ذلك من رائحتها المعفرة بـالطين ومـن الديدان والحشرات التي التصقت بثوبه.. ألقمت فمه حفنـة من القاذورات عكرت مزاجه وأخذ يشتم السـاعة التـي

تزوج فيها وتمنى لو تعود عقارب الساعة للوراء ليتراجع عن قراره المتهور:

نهض متعثراً.. تقدم خطوات بائسة ثم مالبث أن انكب على وجهه.. اكتشف بعد ذلك أنه كان عند تقدمه يخطل برجله على مقدم ثوبه.

(3)

ظلال باهتة تتراقص حول المسجد.. نسمات ملائكية تداعبه في رفق تتقله نحو منزله الطيني، يوم كان أعزباً (يبتسم، الآن لديه زوجتان) ذلك المنزل الذي احتضنه مع أخيه طوال عقدين من الزمان.. ورافق فيه أمه، وبقيت رائحتها تسيطر عليه حتى بعد أن تزوج للمرة الأولى: الفرش التي تخيطها بيديها.. المراوح اليدوية المصنوعة من سعف النخيل.. الأواني الخزفية التي تختارها بعناية وأصرت على عدم استبدالها يوم جاءت إلى القرية تلك الثلاجات البلاستيكية المضحكة وغير المتناسقة مع تراثها.

تزوج الأخ الأكبر للمرة الثانية – وكان هذا سبباً

مباشراً لزواجه هو أيضاً – واضطر للخروج من المنزل مع زوجته.. كان يقتلع اقتلاعاً من ذلك المكان الذي تربطه به علاقات حميمة.

زحزحة الباب أحدثت صريراً داهم الصمت المتواري في أجنحة الظلمة.. في تلك الساعة المتدثرة بدفء مفقود.. يتلاطم قلبه بارتعاشات تنشد الأمان.. حملق في زاوية المسجد، رمق قطعة زلّ كبيرة، يبدو أنها ستذيب الثلج المتربص بجسده المتهالك.

هل كان يتحتم عليه السهر مع أصحابه لوقت متأخر؟

هل كان قدره الإصغاء لحماسهم المزيف؟

كانوا جميعهم من العزاب وهذا ما يفسر عدم مبالاتهم به حتى حين أعلنت دقات الساعة في ذلك الراديو الوحيد الموجود في القرية منتصف الليل، كانوا يرثون له.. يتضاحكون.. يتغامزون.. سيتذكر فيما بعد أنه رمى بالورق من يده رغم أنه كان في آخر الجولة، وأنه وضع غترته على رأسه بشكل معكوس.. قهقهوا كثيراً لكنه لم يتراجع عما عزم عليه.. الهروب..

الهروب إلى حيث وجد أخاه في تلـــك القطعـــة – التي قلبها برفق – يغط في نوم عميق.!

* * *

أميرة عبدالله المحسن

من مواليد السعودية. تعد لإصدار مجموعتها الأولى.

الصفعة

عندما استقر بهامته فوق الصخر كانت جلسته كجلسة عجوز متسكع عند باب مسجد يطلب الشفقة من الآخرين. ما أتعس أن يجلس المتسكع عند باب المسجد ويمد يده وينتهي كل شيء وتبقى يده خالية وتعود يده مرة أخرى إلى جيبه ويرحل، هذا ما خطر له وهو جالس فوق كومة الصخر. منحني الظهر منكس الرأس، ممسكاً بيده عصا يريد أن يضرب أي شيء أمامه لكن لم يجد غير دموعه المنهمرة من عينيه الغارقتين في نهر من الحزن. كانت كل دمعة تلتصق بالتراب سرعان ما يمحوها من التراب ويخفي معالمها ليجف مكانها. من جديد تعود دمعة

أخرى وتلتصق في نفس المكان وبعصـــاه يمحـــو الدمـــوع المتسارعة في السقوط فوق الأرض. ترقب الدمعة الأخـــيرة بحذر والتقطها بترابها في عصاه وأخذ يكلمها. كـــل دمعـــة تنزل من العين لا تعود مرة أخرى رغم أنها لا تأخذ شـــيئاً من الهموم. فقد تمحو زوايا الهموم المؤلمة والوجع حتـــى لا تخدش أكثر من السابق والدموع لا تحقق كل ما يريده.

اعتدل في جلسته المنحنية ورفع عينيه محدقاً فيـــها. كانت هي أيضاً ملتصقة بجذع الشجرة تنظر لحاله متوجعة. همست بصوتها الذي كاد يختفي منها:

دموعك تجرحني بقوة وتستقر بحرارتها في خلجات قلبي، هل تتوقف عن البكاء قليلاً؟

ألقت عليه السؤال وهي تقترب منه، ثم خاطبتـــه: لا تعش أسيراً لهذه الدموع.

نظر إليها منزعجاً من كلامها ولم يتفوه بأي كلمـــة. ثم بدأ يخربش بعصاه من جديد في التراب يرسم أحرفها من كلمات يريد أن يتحدى بها، يغمض عينيه لتختفـــي الدمعـــة ويرفع قدمه وبنعاله يضرب تلك الأحرف ويعاود رفع رأسه يتأملها أمامه صامتة لا تقوى على الكلام متوجعة لحالـــــه. يسند رأسه بساق الشجرة ويعيده مرة أخرى، يحدق بعينيـــه فيها، نهض من فوق الصخرة وأخذ ينفض الغبار الذي علق

بثوبه وهمس رغم عصبيته محترساً في الكلام كي يخرج هادئاً كنسيم الربيع البارد. أردف قائلاً:

اطمئني هذه الحالة التي أنا عليها ليست استسلاماً أو هروباً. مازال عندي طاقة لأصرخ وأثور وأشتم كل الوجوه المتوحشة والعقول العقيمة ولكني فضلت السكوت بل ربطت لساني بحزام الصمت وامتنعت عن النطق بأي حرف كل ذلك لأجلك أنت فلأجلك سأترك الصراخ إلى زمن آخر، وعام آخر لأن صرختي المكبوتة تكبر كل سنة عن السنة السابقة كي تصل في لحظة إلى الانفجار العظيم الذي يجعلهم يندمون أنهم يقفون أمامي كسور حديدي لا أقوى عليه.

أصبح صبري يذوب ويفلت من بين يدي ولكن أقول لك مرة أخرى سأجدد الصبر رغم أني أغرق كل يوم في عمق البحر إلى أن أختنق وسط الماء وأتحمل هذا الضيق هذا الاختناق ولا أتظاهر بالألم أو الخوف كل هذا حتى لا يهمسوا من وراء ظهرك بكلمة تجرحك. إنني عاجز أمام دموعك أخبريني ماذا أفعل؟ كيف أقاوم هؤلاء المغيرين؟ لا أدري لماذا لا يطل عليهم الموت كبقية الناس الذين يكبرون؟ كبرهم يقوي عظامهم وتتحجر قلوبهم وأنا أبقى غاطساً في عمق البحر.

أبشع ما في حياتي أن تغتالني عقولهم العقيمة قبل

تحقيق أمل أعيش من أجله وكأنهم لا يدرون أن القلب معرض أن يقف في أية لحظة؟... لماذا يجعلون قلبي متحيراً بين التوقف والاستمرار؟ عندما أفشل في رسم لوحة من لوحاتي لا أغضب لأني أمتلك أملاً آخر في إبداع لوحة أخرى لكن عندما أفشل في الوصول إليك فهذا نهاية مطافي. فجأة توقف عن الكلام وأخذ قسطاً من الراحة وأسند ظهره إلى الوراء ممسكاً صدره بيده بقوة متوجعاً من الآلام التي تنهش رأسه ثم بدأت زخات العرق تتصبب من أنحاء جسده.

أراد أن يتكلم ثم عاد إلى الصمت لكن عندما أمسكت يده شعر أن الحياة عادت إليه وبدأ من جديد في الكلام.

هم يخططون في علاقاتهم وأنا الآن أدفع ثمن تخطيطهم الماكر في ذلك اليوم الذي دخلت فيه بيتكم الذي كنت أتحاشى الوقوف أمامه أو المرور قربه أو الاتجاه إليه كنت أبعد عيني دائماً عن السلالم المظلمة المعروفة في داركم عند أهل المنطقة التي كنا نسكن فيها. إنها سلالم ملتوية الدرج والشكل ولها سقف يجعلها دائمة الظلمة. كان الزائرون إليكم يستصعبون الصعود إليها وأنا بطبعي أخاف الظلمة كثيراً لكن عند انتظارك كنت أتحمل عتمتها والتواء شكلها. اقتربت من الباب واتجهت يدي بدون إرادة مني

وأمسكت بالحلقة التي كانت تعلق فوق الباب وبدأت أهزها وعند الطرق بها كانت تتلاحق ضربات قلبي توجساً وخوفاً، وتردداً، كأن كل آلام الدنيا وقفت فوق رأسي بمجرد أن بدأت الطرق فوق الحلقة. هممت بالصعود عبر السلالم المظلمة لكن الخوف تلاشى من داخلي حين رأيت العتبة الأولى استقبلتني بحنان وود، فذهب مني التردد فصعدت إلى الثانية فاحتضنتني بفرح فغاب عني الوجع فقفزت إلى الثالثة فضمتني بنغم فانمحى من قلبي الخوف فأسرعت إلى الرابعة فتلاشى اليأس في الأمل ورفعت يدي مسروراً إلى حلقة الباب الثاني، رفعتها بهدوء ولكن أسقطتها بقوة أردت التسرع بفتح الباب. لم أنس تلك الرؤية الأولى من والديك ولم تغفل عيني عن الرؤية الأخيرة من عين أبيك. هل تعرفين الصدمة عندما يختلط الشوق مع عدمه؟ وعندما يمزج قلب الحبيب الصديق بالعدو؟ وعندما يكون هناك مطر وشمس في آن واحد؟

عين الإنسان تعطيك كل الأماني التي يمكن أن يتلفظها الإنسان تعطي الابتسامة والقول كما تعطي التجهم والرفض وهذا ما تلقيته من النظرة الأخيرة. في البداية شعرت بصفاء قلبه تجاهي لكن بمجرد أن جلست نهضت خوفاً من عين أخيك الناكر لي. كيف تستقبل هذا الرجل "اللقيط"؟ موجهاً كلامه إلى أبيك، كانت الكلمة كالصفعة

علت فوق وجهي التقطت أذني أحرف الكلمة. إنها انكسار لوجودي. هذه الكلمة أصبحت وخزة في صدري. نهضت بسرعة وسقطت بقوة في آن واحد والتفت إلى والدك. رأيت النفور في عينيه اللتين ظلتا محدقتين على غير اعتيادهما. مد يده قائلاً: "حياك الله يا ولد الناس" بدأ العرق يفرز مني وامتلأ ظهري وباتت علامة القهر، الخوف، الخجل فوق وجهي وأخذت قدمي تساندني وتبعدني عن وجوههم العابسة وأتجه صوب الباب حيث وقع تاج الأمل ولكن سرعان ما أمسكته في يدي.

بدأت بالهبوط على تلك السلالم، خانتني الدرجات كما خانتني ابتسامة والديك الترحيبية في بداية دخولي تلك الدار المعتمة بمعانيها التي فسرت لي معنى الرفض قبل إعلانه، أكره سلالم داركم ورموزها السرابية. بدأت خيبات الأمل تتلاحق فوق رأسي ونبضات القلب تتسارع وأنا أركض صارخاً منفجراً بالبكاء وأنا أحفظ كل أغاني أم كلثوم وعبدالحليم... لك. اقترب منها وهمس في أذنها مازلت تفضلين الصمت؟ هل أعرف من ذلك... فجأة وبسرعة منها وضعت يدها فوق فمه وصرخت لا.. لا.. أنا أريدك.

أردف قائلاً فرحاً: إذن سأعلن قضية عشقي لك في محكمة العدل غداً.

* * *

البراق العازمي

من مواليد السعودية. نشر قصصه في العديد من الصحف والمجلات.

أحلام الفتى يحي

لم يستطع بعد كل تلك الصفعات أن يحدد الخد الذي سيتلقى الصفعة التالية، لم يملك فرصة الدفاع أو المقاومة، يداه مكبلتان خلف الكرسي الخشبي الذي أجلس عليه، رجلاه مربوطتان إلى بعضهما بحبل قوي، قطعة قماش سوداء تحجب عن عينيه الرؤية تماماً، بعد كل تلك الصفعات لم يعد في استطاعته أن يبقي رأسه مرفوعاً.

فترة صمت وجيزة، يدخل أحدهم ويسر إلى آخر شيئاً ثم يخرج. فترة صمت أطول قليلاً، أحدهم يشير إلى آخر بحل وثاق يدي يحيى وفك الرباط حول عينيه..

- يمكنك المغادرة الآن ولكن انتبه لنفسك!

يحيى يفرك عينيه يظهر يديه ثم يبسطهما بشكل أفقي فوق عينيه محاولاً حجز الضوء الذي هاجم عينيه فجأة..

- حل وثاق رجلك واذهب ولا تنس أن تنتبه لنفسك.

يفعل يحيى ما يؤمر به متفحصاً أثر الحبال حول معصميه وساقيه، يحدث نفسه متمنياً لو أنهم أوثقوا كل عضو في جسمه ولم يصفعوه، يشعر بارتياح داخلي لكلمة (عضو). يخرج من المبنى وهو يتحسس صفحتي وجهه القروي مع شعور بالذل والمهانة، يعبر الشارع إلى الجهة المقابلة، يتكىء إلى عمود كهرباء طويل، يدير رقبته يميناً ويساراً عدة مرات إلى أقصى مدى ممكن، يفكر بأن يعود ويسألهم عن سبب ما صنعوه به، ومم عليه أن ينتبه لنفسه. يقول بصوت خافت وهو يتلفت حوله: يجب علي فعلاً أن أنتبه لنفسي.

يمضي في طريقه إلى منزل العائلة الذي استأجروه قبل أربع سنوات عند قدومه مع أمه للبحث عن عمل له في المدينة الصغيرة والإقامة مع أبيه الذي يعمل حارساً ليلياً لأحد البنوك الضخمة. قبل وصوله لاحظ أن حيهم يضيع

في ظلام الليل، انعكاس أضواء الفوانيس المتسللة من نوافذ البيوت على الجدران المتقابلة يؤنسه في الأزقة الضيقة:

- الحمد لله، حارتنا بلا كهرباء الليلة، أحسن، أمي لن تلاحظ أي شيء في الظلمة.

يدخل البيت بهدوء، أمه أسرجت فانوساً بالصالة الصغيرة، وعندما رأته أشارت إليه بأن يسرج فانوساً آخر يأخذه إلى غرفته، يخبرها أن لا حاجة لذلك لأنه سينام على الفور. تسأله إن كان قد تناول طعام العشاء، لا يرد، يدخل إلى غرفته، يغلق الباب، يتصفح وجهه في مرآة مستعيناً بعيدان ثقاب يشعلها ثم يرميها بعد أن تلامس حرارتها أصابعه.

يحيى شاب بسيط، في الرابعة والعشرين من عمره، لا يكره أحداً، حياته خليط من أوهام السعادة باللحظة المعاشة ومن خوف مبطن من المستقبل، حاصل على شهادة الثانوية العامة، يعمل منذ سنتين كاتباً في إدارة حكومية، لا يميزه عن كثيرين غيره ممن هم في مثل عمره سوى أنه جاء بعد ثلاثة إخوة له يموتون في الشهور الأولى بعد ولادتهم فسماه أبوه يحيى، هناك أمر آخر يميزه، إنه أحلام اليقظة الزائدة التي تشغل حيزاً كبيراً في حياته منذ قدم إلى المدينة، هو الذي اعتاد أن يحلم أثناء نومه فقط عندما كان في القرية!. جدوله اليومي يتكرر: يذهب عصر كل يوم

للعب كرة القدم مع أصدقائه، في الطريق يتخيل نفسه وهو يسجل هدفاً أو يقوم بحركة جميلة كتلك التي يشاهدها في التلفزيون منذ وصل المدينة، حماسه للعب الكرة شديد مع أنه لا يجيد اللعب كأصدقائه، فهم يعتبرونه عبئاً على الفريق الذي يلعب له، وكثيراً ما يحاول قائدا الفريقين دفعه للعب مع الخصم، إلا أنه يتفوق عليهم جميعاً في اهتمامه الشديد بمظهره وأناقة لباسه الرياضي. بعد المغرب يعود الأصدقاء إلى بيوتهم على وعد بينهم للقاء بعد العشاء، حيث التجمع في مقهى طرف المدينة لتناول طعام العشاء وقضاء السهرة مع الشيشة والقنوات الفضائية والبلوت، وهذه الأخيرة لا يجيدها يحيى أيضاً، أصدقاؤه يذكرونه دائماً بأنه لا يجيد لعب الكرة ولا لعب البلوت ويتساءلون بخبث إن كان يجيد شيئاً ما آخر نتيجة إدمانه على مشاهدة القنوات الفضائية!

هذا المساء يحيى ليس كعادته، هكذا يقول أصدقاؤه، يحيى يوافقهم في قرارة نفسه من غير أن يبوح بشيء، ليال أربع مرت على حادثته، تغيب فيها عن أصدقائه بحجة المرض مخافة أن يلاحظوا أية آثار على جسمه، لم يحدث أحداً بما حصل له، تغيب عن عمله أيضاً التزم الصمت أمام تساؤل أمه وأبيه عن انقطاعه عن عمله وتحذيرهم إياه بأنه قد يفصل منه لأن الدنيا لم تعد كما كانت!.. لا أحد يعرف إن كان يحيى قد توقف عن أحلام اليقظة في الفترة الماضية التي تلت الحادثة.

تناول يحيى جريدة ملئت زواياها بأرقام خاصة بلعبة البلوت، أخذ يقلبها من الخلف بعجلة بحثاً عن صفحات الرياضة، انتبه له أحد لاعبي البلوت وقال له: هذه قديمة يا غبي، ما تشوفنا نسجل عليها. ثم ضحك. عقب الصديق الذي يقابله في اللعبة: يا أخي، يحيى ما تفرق معاه!.. وضحك الأربعة المتقابلون. رمقهم يحيى بنظرة غاضبة.. كور الجريدة.. قذفها بقوة بينهم ثم غادر من غير أن يبالوا!!

أطلق خطواته على أديم الأرض، يتسكع من شارع إلى آخر فاراً من همومه أو من شيء لا يستطيع تحديده، تاركاً خياله يسرح في لا شيء، يتعمد أن يقف تحت كل عمود إنارة ويسأل نفسه: ماذا أريد أن أكون الليلة؟ أحس بالتعب، أسند ظهره إلى عمود إنارة طويل، ثنى رجله اليمنى واضعاً باطن قدمه على امتداد العمود، مد ذراعيه إلى الخلف لتحيط بعمود الإنارة، شبك بين أصابع يديه وبدأ يضغط في اختبار لقوته ولقوة عمود الإنارة!... لمح مرور سيارة فخمة جداً، فك الاشتباك مع عمود الإنارة وأنشأ اشتباكاً آخر مع السيارة الفخمة. بدأ يخيل لنفسه أنه صاحب السيارة الفخمة وأنه لابد أن يكون ثرياً جداً، ولديه فيلا فخمة أيضاً، وزوجة جميلة، وشركة كبيرة يملكها ويشرف عليها... غابت السيارة، مرت بعدها عشرات السيارات وهو يرسم ويحدد كل شيء يمكنه تخيله واستحضاره!

عشر دقائق وهو يحلم يقظاناً بدقة متناهية.. لم يوقفه إلا صوت توقف مفاجىء لسيارة مسرعة، نظر باتجاه مصدر الصوت، وإذا سائق ترجل من سيارته وأخذ يشتم بصوت عال مشيراً بيده نحو صبي في العاشرة من عمره تقريباً عبر الشارع على دراجته، ركب السائق سيارته وغادر مصدراً صوتاً مشابهاً لذلك الذي كان عند توقفه المفاجىء، (الله يستر عليك وعلى بسكليتكك)، قالها يحيى متابعاً ببصره الصبي يقود دراجته بارتباك وحذر.

عبر يحيى الشارع وهو يتابع الدراجة بنظرة ثاقبة وتمتم: إنها تشبه البسكليت التي سبق وحلمت بها إلا أنها بدون أنتل (هوائي). ثم أردف قائلاً: ليش عندنا عيب واحد في سني يركب بسكليت؟ تخلف!.. لو كنت في عمره... وبدأ يحيى حلم يقظة آخر عن الدراجة وتفاصيل زينتها وهوائي بطول هوائي المذياع كي يميل إلى الخلف بفعل الهواء عندما يسرع بدراجته في قضاء حاجة لأمه...

بعد فترة، أحس بالتعب والجوع، فكر أن يرجع إلى أصدقائه، لكنه فضل أن يعود إلى البيت ليذهب مبكراً إلى عمله الذي تغيب عنه الأيام الثلاثة الماضية.

وصل بيته، سألته أمه:رجعت بدري اليوم؟!

- أنا تعبان وجيعان.

– باقي من الغداء، أسخنه لك؟

– طيب.

تناول عشاءه، تبادل وأمه النظرات خلسة، أمه تريد أن تسأله عن حاله ولكنها تعرف أن ذلك يضايقه كثيراً، وهو يريد أن يتحدث معها، لكنه لا يدري ما يقول

العاشرة صباحاً، يطلبه رئيسه في العمل، يوجهه بأن يرافق شخصاً كان ينتظر في مكتبه، عرف يحيى ذلك الرجل ورافقه بلا تردد، في الطريق سأل يحيى مرافقه: هل المدير يعرف؟

– ألم تخبره؟

– لا. هذا أول يوم أحضر فيه للعمل من تلك الليلة، قلت له كنت مريضاً.

– أحسنت، أنا أخبرته أنني من أقربائك وأريد لأمر عائلي عاجل.

وصلا إلى مدخل المبنى، أحس يحيى برعشة في جسمه، بدأ الخوف يتملكه، وبدأت أطرافه تنتفض. لاحظ مرافقه ذلك فحاول طمأنته قائلاً: الموضوع ليس كالمرة السابقة. لم يصدقه يحيى لأنه ببساطة لا يعرف موضوع المرة السابقة أساساً!. دخلا إلى ذات المكتب، وقعت عينا

يحيى على كفي رجل ضخم، تذكر على الفور وصية الرجل له بأنه ينتبه لنفسه فاندفع يقسم ويؤكد أنه لم يفعل شيئاً وأنه انتبه لنفسه جيداً!

كان الرجل الضخم جالساً خلف المكتب العريض، طلب من يحيى الجلوس وأخذ يمسح بسبابة وإبهام يده اليمنى طرفي شاربه الأسود الكثيف، وجّه كلامه ليحيى وابتسامة ماكرة ترتسم في عينيه:

- لا لا يا أخ يحيى، أنت فاهم الموضوع خطأ.. هدىء نفسك.

- حاضر.

- هل أخبرت أحداً بما حصل سابقاً؟

- لا. أقسم أنني لم أخبر أحداً.

- لماذا؟ لماذا لم تخبْر أحداً؟

- ماذا أخبرهم؟ إنني أُحتجزت وصُفعت! ثم إن أهلي وأصدقائي كانوا سيشكون أنني ارتكبت شيئاً ما.

- قل الحقيقة يا يحيى، لم تخبرهم خجلاً من أن تقول لهم أنك صُفعت على وجهك أم كي لا يشكون فيك؟... أتبع ذو الشارب الكثيف سؤاله بضحكة مليئة بإحساس كبير بلذة التفوق والسيطرة.

- الحقيقة، لم أرد أن يعلم أحد بتلك الصفعات.

- طيب يا يحيى، موضوعك انتهى، ولكننا لا نريد أن تخبر أحداً بهذه الزيارة أيضاً، ولا أعتقد أننا بحاجة إلى صفعات هذه المرة لإبقاء هذه الزيارة سراً. وإلا إيش رأيك؟.. قالها ذو الشارب الكثيف بنفس الشعور السابق مع ضحكة مجلجلة هذه المرة.

- لا لا، لا داعي، والله لن أخبر أحداً، أقسم لك.

غادر يحيى المبنى إلى بيته مباشرة، استنكرت أمه عودته المبكرة من العمل، أخبرها أنه استأذن من عمله لإحساسه بالتعب، دخل غرفته وأحكم إقفال بابها بالمفتاح، تأكد من إقفال النافذة الوحيدة، خلع شماغه وثوبه، رمى بنفسه على السرير، نظر إلى سقف الغرفة وأخذ يقضم أظافره بأسنانه، التف متكئاً على ذراعه الأيسر، ويرسم بسبابة يده اليمنى دوائر وهمية على طرف فراشه ثم بدأ يستعيد شريط أحلامه بصوت خافت:

لقد حلمت بأني في موقع رئيسي في العمل وهو في مكاني..أوه، لقد كرهت نفسي في ذاك الموقع، لا، لم ولن أحلم به مرة أخرى. أحد أحلامي المفضلة أنني لاعب كرة قدم مشهور، أستطيع أن أثير إعجاب الملايين، وماذا في ذلك؟! كثيرون غيري يفعلونها حقيقة وليس أمنيات، ثم لو أن المشكلة في قدمي لضربوني عليها ولم يصفعوا

وجهي (قالها وهو يتحسس وجهه وعاد مرة أخرى إلى رسم الدوائر الوهمية). ولقد حلمت مرتين بأنني طيار. لكنني وجدتها مهنة متعبة ومخيفة، فعدلت الحلم الثالث لأكون مضيفاً، فالتعب والخوف يزولان عندما تكون بجوار الحسان. ترى صفعوني لخوفي من الطيران أم لخوفهم على الحسان مني؟ لا يهم فأنا لن أحلم بذلك مجدداً لأنني لا أريد أن أرتفع عن الأرض كثيراً. وكم حلمت بأنني ثري صاحب شركات وسيارات وفلل، ولدي أموال كثيرة تطمع الناس فيّ، مما يدعوني لأهاجر بأموالي بعيداً.. ها.. ربما هذا هو السبب. لا أعتقد، لأنهم سيحتاجون إلى عدد كبير ممن يجيدون الصفع!. الحلم الآخر الذي حلمته مرة واحدة أيضاً هو أنني مذيع في التلفزيون، لكن ما الفائدة بأن يراك الناس وأنت لا تراهم. وقبل أسبوعين عندما أوقف أبي لعدم حيازته على رخصة قيادة، حلمت بأن أكون ضابطاً، لكنني لا أريد أن أصفع أحداً، إنه مؤلم ومذل. ماذا أيضاً؟ هناك أشياء كثيرة حلمت بها، أي منها قد يكون السبب.. آه.. حلمي المفضل على الإطلاق هو أن أعود طفلاً، وأمتلك بسكليت أزينه بكل شيء، وأضع له أنتل طويلاً جداً في الخلف.. ها، هل يكون الأنتل هو السبب؟! لا مشكلة، هناك أشياء جميلة أخرى أستطيع أن أزين بها بسكليتي.

وماذا أيضاً، وماذا أيضاً، نعم نعم.. يقفز يحيى من سريره فجأة، يقف أمام المرآة بجوار سريره، يدق بسبابة

يده اليمنى الجانب الأيمن لدماغه، يقول بصوت واضح: في يوم الحادثة عندما هاجمني الملل في مكتبي حلمت بـأنني... لا لا، لا يمكن، من المؤكد أن ذلك الحلـم يسـتحق عقابـاً أعنف كثيراً من الصفعات، كنت أظن أن غـيري كثـيرين يحلمونه في نومهم وربما وهم أيقاظ مثلي.. آه، الآن ربمـا عرفت سبب تلك الصفعات، يجب عليّ فعلاً أن أنتبه لنفسي، الأفضل ألا أحلم أياً من أحلامي السابقة، هناك أشياء كثـيرة غيرها أستطيع أن أحلم بها!

في المساء التقى يحيى أصدقاءه، روى لهم احتجازه – بلا صفعات – وتفاصيل شريط أحلامه واستنتاجاته، أحـد الأصدقاء خاطبه ضاحكاً: دع عنك أحلام اليقظـة، عليـك بأحلام المنام فهي ألذ وأسلم، اسألني عنها!

آخر قـال إن الحكاية برمتها مجرد حلم، سـواء رآه يحيى في منامه أم بناه في يقظته. غضب يحيـى مـن محاولة أصدقائه اتهامه بالكذب، لأنـهم – كمـا يقـول – يحلمون مثله ويستطيعون التفريق بين الحلم والحقيقة، مذكراً إياهم بأنه إنما أفشى سرّه لأصدقائه وهم لن يخونـوه، وأن الذين ربما عرفوا بأمر أحلامه لم يعرفوا هل أخبر أحـداً أم لا باحتجازه في المرة الأولى، وذلك ما شجعه على البـوح وما يحيّره في الوقت نفسه!

بعد العشاء انشـغل الأصدقـاء بلعـب البلـوت،

وانصرف يحيى لمشاهدة مسرحية معادة في قناة فضائية بسعادة بالغة، كأنما يشاهدها للمرة الأولى!

أحدهم ظل ينظر إليه من طرف عينيه بحذر ويتساءل: ترى متى سيتوقف يحيى عن أحلامه هذه؟!.. آخر كان ينظر إليه بشفقة ويتساءل: تُرى هل سيحلم يحيى ثانية؟

في الصباح الباكر، جاءت أمه لإيقاظه، وجدت جسمه بارداً، أطرافه ساكنة تماماً، ابتسامة خفيفة، حزينة وأخيرة تكسو وجهه القروي، كأنما كان يحلم في منامه، كعادته قبل قدومه إلى المدينة.

* * *

علي أحمد زعلة

من مواليد السعودية، كتب العديد من القصص، مجموعته الأولى تحت الإعداد.

وجوه..!!

لم تكن رغبتي في النوم كبيرة، لكنني كنت مرهقاً حدّ الفناء بعد يوم مشحون بالعمل من بزوغ الشمس وحتى انكفائها إلى حضنها الأزرق العميق.. أحسّ بخمول عظيم يتمطى في مفاصلي، وتوتر يزمجر في أعصابي..

حين دخلت المنزل ما كنت ألوي على شيء سوى الفراش.. أدفن فيه ذلك الإرهاق المتعاظم في كل ذرة من جسدي المهترىء، حتى أمي التي فارقتها باكراً لم أستطع إلغاء تحية المساء عليها أو حتى تقبيل يدها وجبينها

المتغضن كما هي عادتي كل مساء، فضلا عــن محادثتــها وإيناسها بتناول فنجان من (المردوم) الجنوبي الأصل..

دلفت مباشرة إلى غرفتي، أدرت المفتاح في ثقــب الباب فأنا لا أتركه مفتوحــا أبدا.. حتى أثناء وجود أمــي في البيت.. أزعم أن فيها أشياء من تفاصيل حياتي المهمة!! دخلت غرفتي المبعثرة تماما كأشلاء عواطفي، لم أقلق شبح الظلام الجاثم في أرجائها، استلقيت بعشوائية.. تذكــرت أن حذائي القذر بكل ما يحتضنه من بقايا الشــارع لــم يــزل ملتصقا بقدمي.. لابأس.. لست أريد النوم، بل سأســترخي قليلا ثم أغمض لأبدل ملابسي وأستحم وأجلس إلى أمــي.. و.. أخذتني سنة لذيذة كنت فيها أشــبه بفاقد الوعــي أبلــغ ذروة النشوة.. دق جرس التاسعة، بئسا لهذه الساعة.. بــل بئسا للغرب الذين صنعوها!! أشعر حينما يدق جرســها أن مطارق الحديد ترتجف في كبدي، إنها تنغص علــي دائمــا لحظاتي الجميلة التي لا ألتقيها غالبا فــي المنــام! عندمــا أنهض سأنقل هذه البائسة إلى الصالة.. هكذا أنــوي منــذ اشتريتها قبل سنتين!!

وبينا أنا أجدد العزم على الفتك بالســاعة الآثمــة عاودتني إغفاءة أعمق من سابقتها.. ولكن شبحا غريبا مرق بجواري وغمز حذائي باتجاه باب الغرفة، وهناك توقــف.. إنني أعرف ذلك الشبح تماما؛ ليست المرة الأولــى التــي

أشاهده فيها.. إنه يحمل وجهي، ولكن جسده لا يشبه جسـدي فهو متورم قليلاً.. والعجيب أنني رأيته يحمل على شفا جيبه حفنة من الأشخاص!! من أولاه المتعلقون؟! ذاكرتي لا تنكرهم، ولكنني أجد صعوبة بالغة في التعرف على أسمائهم أو أماكن لقائي بهم.. أو أي شيء عنهم.. بالتـأكيد أعرفهم.. آه لقد تذكرت، إنهم أولئك النفر الذين يعملون في القسم الذي أديره بالمؤسسة، لقد عرفتهم برائحة العفن التي تفوح من وجوههم وعيونهم.!! كانوا يتعلقون بجيبه يحاولون أن يرتفعوا إليه بأي سبيل، حين دققت النظر أكثر تبينت أن ثمة مجموعة منهم وبرغم تعلقهم إلا أنهم لم يكونوا يحاولون الصعـود.. كانت أيديهم تلمع بياضاً! أشار الرجل بأطراف أصابعه كأنما هو يزيل قذاة علقت بثوبه.. فأسقط أولئك البيض، انكبوا على الأرض بعنف..

وأما البقية فمازالوا يقاتلون من أجل ولوج ذلك الجيب وفجأة قذف أحدهم قطعة مستديرة براقة ثم أتبعها بأخرى إلى داخل جيبي.. أعني جيب ذلك الرجل الذي يعتمر وجهي!! عندها وبعد أن اطمأن إلى استقرار القطعتين في غيابة جيبه سارع ذلك الصفيق إلى حمل صاحبهما وواراه داخل جيبه.. والباقون بين ساقط متهالك وآخر يحاول التعلق أو.. الحصول على قطعة ما..

كان ذلك هو المشهد الأخير الذي قام به الرجل قبل أن يتوارى من فضاء الغرفة.. أين ذهب؟ وكيف اختفى بكل هذه

السرعة؟! إنني أبحث عنه في كل الزوايا المنفرجة التي تكشف غرفتي السوداء، أتقرّاه في طلاء الغرفة الممتقع وألتمسه بين أغلفة الروايات الممزقة.. رغم ذلك الغطيط الذي ينبعث واهناً من صدري إلا أنني لست نائماً! بل أشعر أني لم أكن بمثل هذا الصفاء الذهني من قبل.

وبعد لحظات من البحث العائم.. إنه هو لقد وجدته هو هو يتربع على سطح مكتبي الذي ليس له من اسمه إلا قوائمه الأربع، عندما حدقت في الرجل أدهشني نحوله الشديد، لقد عاد ضئيلاً لا يملأ الكف ولكنه مازال يحمل وجهي وقد أبهجني ذلك الرواء والصفاء الطافح من جبيني المعلق على ظهره هذه المرة!! وعندما هممت بندائه استقبلني بصدره الذي يحمل وجهي أيضاً لكن صفرة عجيبة كانت تحتويه وتشي بعاهة ما.. إنه بوجهين إذن.. لم أعد متأكداً من يقظتي الآن!!

حاولت أن أسأله: من أنت يا هذا؟

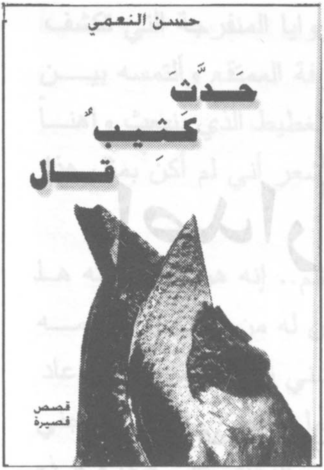
وكيف دخلت غرفتي؟

والسؤال الملحّ: لماذا تحمل وجهين كوجهي؟! ما علاقتك بي؟ وما..؟؟! عصفت كل تلك التساؤلات وأكثر منها في فكري المكدود.. أغاظني بوداعته وصمته.. وبتلك النظرة المريبة التي تسمرت باتجاهي، استجمعت قواي وهممت بطرح أسئلتي عليه.. لم أتمكن من ذلك.. لقد عادت الساعة البائسة لتعلن العاشرة..

* * *

إصدارات قصصية

تهدف هذه الزاوية إلى التعريف بالإنتاج المطبوع للقصة القصيرة في الجزيرة العربية من أجل التوثيق وتسهيل الوصول إلى مصادر نشره وتوزيعه. ففي كل عدد من **الراوي** سنحاول أن نقدم ببليوغرافيا عن عدد معين من المجموعات القصصية. ولذلك فإننا نهيب بالأخوة مبدعي هذه الجزيرة أن يرفدوا مكتبة **الراوي** بما لديهم من مجاميع قصصية حتى نساعد على تكريس الاهتمام المتزايد بالإبداع القصصي.



حسن النعمي - السعودية

* حدث كثيب قال

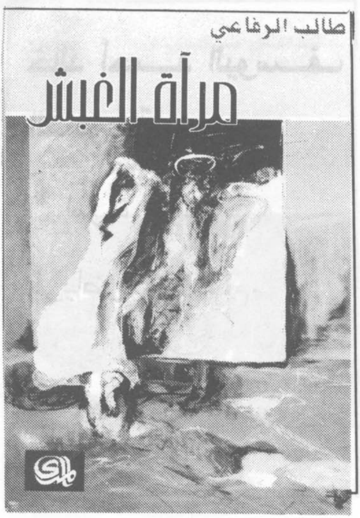
دار الكنوز الأدبية، بيروت، 1999م.



عبده خال - السعودية

* من يغني في هذا الليل

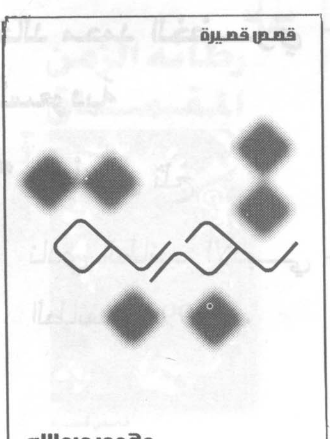
دار الراوي، الدمام، 1998م.



طالب الرفاعي – الكويت

* مرآة الغبش

دار المدى، دمشق، 1997م.



مهدي عبدالله – البحرين

* تجربة

البحرين، 1999م.

خالد أحمد اليوسف – السعودية

* امرأة لا تنام

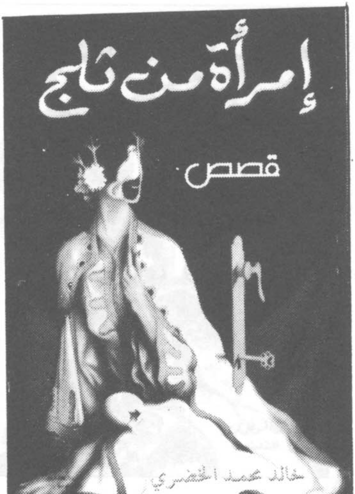
الرياض ، 1999م.

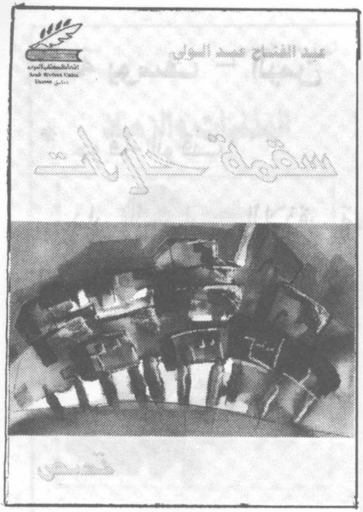


خالد محمد الخضري – السعودية

* امرأة من ثلج

نادي الطائف الأدبي – الطائف ، 1999م.





عبدالفتاح عبدالولي – اليمن

* سقمة حارات

اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997م



وجدي الأهدل – اليمن

* رطانة الزمن المقماق

الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، 1998م.



آمنة يوسف – اليمن

* جوقة الوقت

دار الحوار – اللاذقية، 1997م.



أفراح الصديق – اليمن

* عرش البنات

الهيئة العامة للكتاب – صنعاء، 1999م.

نورة محمد المحيميد - السعودية

* المذنبات والرماد

دار الجديد، بيروت، 1999م.



محمد عجيم، السعودية

* مقطع من سيمفونية الوحل

نادي تبوك الأدبي، تبوك، 1999م.

